A. U. B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

822.33
S 527 jA

822.33
S527jwA

1126-362

مقدمة

يعجبنى من وليم شكسبير نابغة شعراء الغرب عمق مافي طية مقاله من المعانى ، وبعد الخيال الذى يسبح فى سمائه ويحلق فى جوه كما يحلق الطائر الطليق فى جو حريته ، ودأبه على تسخير القوي الخيالية فى سبيل خدمة الحقائق الناصعة ، وعدم اكتراثه لزخرف اللفظ حرصا على جوهر المعنى وضنا بغايته أن تذهب بها تلك الاداة اللغوية أو تجمح بها هذه المطية اللفظية أو يلهو عنها لاه بمنمق السبك وموشى الأسلوب .

يعجبنى منه أن يربأ بوقته ومجهوده أن يضيعا في عبث الاطالة التى لاطائل تحتها فى وصف المظاهر العادية المألوفة التى تتدفق بها أساطير غيره من الكتاب والشعراء ، حتى انه ليؤثر دائما أن يفرغ رواياته فى القالب التمثيلى ليجمع فى ذلك بين ميزتين جوهريتين ، ميزة الحرص على الباب ، وميزة أن يجعل قارئه بين يدي محدثه وجها لوجه يفضى اليه بلسانه دخائل أسراره وطوايا جوانحه .

يعجبنى منه أن يذيب عصور التاريخ وحوادثه فى بودقة الفكر ويصوغ منها سبيكة ذهبية هى اثمن مايتحلى به جيد الأدب من القلائد ، يعجبنى منه سمو المعانى وجزالة الالفاظ وروعتها ، والأبداع فى التصوير والتفوق فى النحت والأتقان فى توقيع النغمات الشجية الرائعة حتى أن سميره لايكاد يأنى على الرواية من رواياته حتى يرى أمام بصره وتحت حسه صورة صافية نقية لأخلاق الرجل الذى يصفه أو لعناصر الحوادث الذى يعنى بتحليله كأنما هى الحقيقة بعينها ماثلة للعيان ، ولقد يتناول معاني الطبيعة التي يمليها العقل ويخلق لك منها شعراً غزير الماء عذب المستشف جم المحاسن ويمد الي القطعة الصلداء من الحقيقة المجردة فيحللها الى عناصرها تحليلا دقيقا ويلبسها ثوبا شفافا من الخيال ينم عليها كما تنم الكأس الصافية عن ترقرق الخمر يعجبنى منه أن يجعلك على مرأى ومسمع من أبطاله وفي مشهد من حوادثه ، يعجبنى منه إقامة الدليل الناهض فى أساطيره على سخافة زعم أولئك العجزة اللاهين الغافلين الذين يقولون إن الشعر لهو فى لهو والخيال عبث فى عبث ، والألي لم يحفلوا بتلك الكلمة المأثورة : « إن من البيان لسحراً ومن الشعر لحكمة »

يعجبنى منه خلود أساطيره وخلود روحه .

لذلك أعجبت برواية « يوليوس قيصر » تلك المأساة التاريخية الكبرى — أيما إعجاب فقد استطاع أن يضع يده فى يدى ويرجع بي القهقرى الى العصور الخوالى فأقطع معه مراحل من الدهر عدة تقرب من عشرين قرنا فرأيت بعيني رأسى اعوام الرومان وسمعت بأذنى نكاتهم اللطيفة ، وشهدت قيصر العظيم وهو يصارع موج نهر « تيبر » لينجو من الغرق المحدق به والردى الكامن له فى طى ذلك الثبج (١) ، ورأيت كاسياس الضعيف المهزول يشد منه ويحمل قيصر العظيم على كتفيه ويدفع عنه غائلة الغرق ، وسمعت صوار « كاسياس » وصديقه « بروتاس » وكيف استطاع الداهية الاول ان يؤثر على الثاني وهو ذلك الحكيم الموفور العقل ويحرضه على قتل خليله الحميم ، ويزين له ان فى جزيرة القتل لصالحا عاما لروما ومشيت خاشعا فى مشهد قيصر ، وسمعت تأبين « انطونياس » المؤثر له ، فبكيت واستبكيت ، ورأيت ذلك المنظر البشع ، منظر الدماء تتدفق من جراح « قيصر » المظلوم ، وسمعت

---

(١) الثبج بفتحتين الموج

صليل خناجر المتآمرين عليه تتحطم فى جوانبه بعضها على بعض ، فرأيت روح قيصر الشهيد تتجلى بعظمتها فى الميدان ويشد أزر أنصاره ، فتمزق جيش أعدائه شر ممزق ، وترد سيوفهم فى نحورهم ، فاذا هم بين منتحر وقتيل وأسير ، وقد خذلتهم الحرب فكانوا من الخاسرين .

أجل لقد صور لنا « شكسبير » فى هذه الرواية العظمة والحسد ، وعقلية الشعوب ، وتأثير الطيرة والخرافات على العقول والغدر ، والاخلاص ، والثبات ، والثقة بالنفس ، وانتصار الحق على الباطل فى نهاية الامر ، فراقتني جمالها حتى هممت بتعريبها ، فاستمطرت البلاغة فجادتني من افقها بديمة(١) صالحة رعرعت النبت وأزكت (٢) الثمار واستهديت الفكر فهداني سواء السبيل ، فجاء التعريب وهو يكاد يكون حاويا لكل حكمة شاردة أو واردة ، صغيرة أو كبيرة ، ادخرها المؤلف فى ثنايا أساطيره ، اللهم إلا اليسير من التصرف الذى رأيت ان اسلك سبيله لأدفع عن القارىء القلق الملل الذى

---

(١) المطر يصلح الارض (٢) زكا الزرع يزكو اذ نما وترعرع وأزكاه أنماه .

قد يعتريه من بعض المواقف الجامدة ولأقل ما استطعت من الاسماء المتعددة المتتابعة التى استلزم سردها الاسلوب التمثيلى البحت ، ولولا ضيق فى المجال ، ورغبة فى الموازنة بعض الشيء بين انتفاعى وانتفاع الناس بما اكتب ، وبين ما أبذل فيه من مجهود ، لجعلتها قريضا منظوما ، ولكن حسبي اني عالجت ان آتى بها شعراً منثوراً ، راجياً أن ينتفع بها قارئها وكاتبها على السواء ، فأحمد مغبّة عملى ، واستمد من تقدير الناس له وتشجيعهم لى قوة على ولوج أبواب الاجادة والاتقان ، والله المستعان .

القاهرة فى نوفمبر سنة ١٩٢٤ المعرب

الفصل الاول

(العاصفة)

ماجت سبل روما بالجماهير فى يوم عيد « لوبركال » فى سنة أربع وأربعين قبل الميلاد ، وكان فى تلك البلاد بعض المتبرمين (١) بسياسة ذاك العصر خوفا من ابدال النظم الجمهورية بأخرى حاكمية ، قد (٢) ينجم عنها تقييد حرية الرومان فى أى مظهر من مظاهر استقلالهم الذى رتعوا فى بحبوحته وتفيأوا ظلاله الوارفة منذ العصور المتوغلة فى القدم

وخرج فيمن خرج من دورهم في ذاك اليوم رجلان يقال لأحدهما « فلافيابس » وللآخر « مارلاس » وكانوا من زمرة اولئك المتبرمين فاعترضا جمهور الأميين وصاح أولهما بهم قائلا :

ارجعوا الى دياركم أيها الكسالى الخاملون ! ارجعوا الى دياركم ايوم عطلة هذا ؟ ألا تعلمون أنه لا يجدر بكم ، وأنتم من الصناع ، أن تضربوا فى السبل فى يوم من ايام العمل عارين

---

(١) تبرم بالامر سئمه وضجر منه (٢) ينشأ ، يتولد ، يترتب

عن شعائر مهنتكم ؟ أية حرفه تحترف يا هذا ؟ تكلم

فقال له الأمى الأول : لماذا يا سيدى نحار . فقال زميله مارلاس أين شعارك ومقياسك ؟ وماذا أنت صانع بأجمل ملابسك ؟ وأنت يا سيدى أية حرفه تحترف ؟ فأجابه الامى الثانى :

حقا يا سيدي بالنسبة الى ذوى الفنون الجميلة ما أنا على رأي حضرتكم إلا مرقع (١) فاحتدم عليه غضبا وقال : ولكن أية حرفة لك اجبني مباشرة . فاجاب مهنة يا سيدي آمل أن أؤديها بذمة طاهرة وأنى لاصدقك القول يا سيدى ـ مصلح للنعال الفاسدة . . . فلم يزد مارلاس الا غيظا وصاح فى وجه الامى قائلا :

أية حرفة أيها الشقي ؟ أية حرفة أيها الوغد اللئيم ؟ !

ـ أجل . أرجوك ياسيدى أن لا تخرج علىّ فان خرجت فني وسعى أن أصلحك .

ـ ماذا تقصد بذلك ؟ أتصلحنى أيها الاميّ الوقح ؟

ـ لا تغضب يا سيدى . . أرقع لك

---

(١) كان عوام الرومان ظرفاء يحبون الفكاهة والنكات

فقال فلافياس اذن فأنت اسكاف ألست كذلك ؟

- الحق يا سيدى ان كل ما أعيش به إنما هو المخراز ولا أتدخل فى شؤون الصناع الآخرين ولا فى أمور النساء الا بالمخراز . وحقا ياسيدي ما أنا الا جراح الاحذية المسنة أشفيها وأرد اليها الحياة وهى فى أشد الخطر . وما من شاب ظريف متأنق الا خطر على حذاء من صنع يدى وبنات أفكارى

- ولكن لماذا لم تعمل فى حانوتك اليوم . وعلام تقود هؤلاء الرجال فى الطرق ؟ ؟

- حقا يا سيدي لا بلى لعالهم حتي أجد لدى عملا كثيرا ولكنى أصدقك القول ياسيدى . اننا عطلنا أعمالنا لنرى قيصر ونهلل ونهتف لانتصاره ولأن اليوم عيد « لوبركال »

- علام تهللون وتهتفون ؟ أى ظفر آب به الى وطنه ؟ وأى الغنائم والأسرى عاد بها الى روما حتى تحنوا هامكم (١) أمام مركبته أذلاء خاضعين ؟ أيتها الخشب المسندة . ايتها الحجارة . أيها الأغبياء الجهلة . يا أخس من الجماد معدنا وأحط دركا من المواد التى لا أحساس لها ولا أدراك . ويل لكم

---

(١) رؤوسكم

يا قساة القلوب .ويل لكم يا رجال روما الاشقياء . ألم تعرفوا بومبي ؟ كم من مرة تسلقتم الجدران وتسورتم ذرا الدور وقلل المعاقل وعلوتم المسلات وأطللتم من الطنف والنوافذ وصعدتم حتي الى قمم المداخن وأطفالكم بين أيديكم ولبثتم ثمة طول اليوم يذاهب الصبر ابتغاء أن تروا « بومبي » العظيم يجتاز شوارع روما وما كدتم تبصرون مركبته حتي رفعتم عقيرتكم بصياح عال حتى ارتعدت فرائص « تيبر » (١) وضجت لدى شاطئها اذ سمعت صدا أصواتكم تضطرب على ضفافها . فهل ترتدون الآن أجمل ثيابكم وتعطلون أعمالكم وتنشرون الازهار فى طريق ذلك الرجل الذى يأتى ظاهرا (٢) على سليل «بومبي» العظيم ؟ !

ألا بينوا (٣) !أعدوا (٤) الى دوركم واجثوا (٥) واضرعوا الى الآلهة عسي أن تدرأ عنكم ذلك البلاء الذى استحققتموه جزاء نكران الجميل . وقال لهم زميله فلافياس . اذهبو . اذهبو أيها المواطنون الأعزاء ولتلك الخطيئة اجمعوا جميع زملائكم

---

(١) اسم النهر الواقد عليه روما (٢) متغليا (٣) ابتعدو (٤) اجروا (٥) اركعوا

المساكين وأتو بهم الى ضفاف نهر « تيبر » واسكبوا الدموع في مجراه حتي ليكاد غوره (١) يائم ذرى شاطئية :

فوجم جميع الاميين كأن على رؤوسهم الطير وانصرفوا صامتين. فقال فلافياس لصاحبه : انظر كيف اهتز عنصرهم الدنيء لقد غربوا معقودى الالسن بجريمتهم متلبسين . اذهب انت في هذه الطريق المؤدية الي دار الحكومة وسأذهب أنا في تلك . جرد النصب (٢) من زخرفها أذا ألفيتها بزينتها تنوء . فأجابه صاحبه قائلا : ألنا أن نفعل ذلك ؟ ألا تعلم أن اليوم عيد « لوبركال » فقال فلافياس هذا لا يهمنا . لا تذر (٣) النصب مزدهاة بآثار قيصر .

سأمضي في سبلي وأطرد الاميين من السبل وانح أنت نحوى حيثما وجدتهم متجمهرين . إن هذا الريش النامى فى أجنحة قيصر اذا انتزع فلا يجد بداً من أن يطير طيرانا مألوفا وإلا فقد يحلق في الافق ويتسامى على الانظار ويجعل جميع الخلق يئنون تحت نير الاستبداد . وفي هذا اليوم تهيأ قيصر وحاشيته للاحتفال بالسباق الذى كانوا يجرونه فى مثل ذلك اليوم من كل عام .

---

(١) قاعه (٢) التماثيل (٣) تدع

ولما أعدت المعدات واحتشد الجمع نادى قيصر زوجته المحبوبة «كالبورنيا» فأجابته لبيك يا مولاي فقال لها قفي فى طريق انطونياس عند ما يعدو فى سباقه وقال لهذا لا تنس وأنت تعدو على عجل أن تمس كالبورنيا لان آباءنا الاقدمين يقولون إن العقم اذا مسسن فى هذا السباق المقدس ولت عنهن لعنة العقم . فاجاب انطونياس قائلا سأذكر ذلك . إذا أمر قيصر صدع بامره فقال قيصر هلموا ولا تخلوا وراءكم من هام الامور شيئا واذا بمنجم ينادى يا قيصر ! فقال من ينادى؟ وكان بين الجمع رجل حقود يدعى «كاسكا» قال حينما سمع صوت قيصر : ليخفت كل صوت . صه . صه. قيصر يتكلم.

وقال قيصر : من ذا الذى ينادينى بين الجمع ؟ أني لا اسمع صوتا يرن رنين الموسيقى مناديا يا قيصر ! — تكلم . قيصر أى رجل هذا ؟ فأجاب بروتاس وكان من الحاقدين على أحوال العصر على أنه صديق مخلص لقيصر — انه لمنجم يطلب اليكم ان تحذروا منتصف مارس . — ليمثلن أمامى دعونى انظر وجهه

وقال كاسياس وكان شر الحاقدين على قيصر : أياهذا .

اخرج من الجمع وامثل بين يدى قيصر ففعل . وسأله قيصر

— ماذا تقول لى الان ؟ تكلم مرة أخرى فقال حذار منتصف مارس فقال قيصر انه لحالم . دعونا منه . هلموا ثم خرج الجمع الحافل ليشهد (١) السباق ماعدا بروتاس وكاسياس وقال هذا لصاحبه أراغب فى الذهاب لتشهد نظام السباق

فقال بروتاس : أنا ؟ ! كلا .

— أرجوك أن تذهب

— لست من أهل اللهو . تعوزني تلك الروح الخفيفة اللاهية التى لانطونياس لاتدعني اعترض رغائبك ياكاسياس.

— أراك يابروتاس فى هذه الايام قد تغيرت على صديقك فانى لاألمح فى عينيك تلك النظرات الودادية الصادقة ولا تلك الرقة التى عهدتها فيك انك لتمد يداً قاسية شاذة على صديقك الذى يحبك ويطوى لك الولاء

— لاتخدعن نفسك يا كاسياس . اذا تغيرت معارف وجهى فان عناء ذلك ليس بعائد إلا علىّ لان خواطر وآلاماً شخصية بحتة لتزعجنى منذ عهد قريب وربما غيرت من اخلاقى

---

(١) يشاهد

ولكن لايحزنن ذلك أصدقائي المخلصين ومنهم كاسياس اذ لا احمل لهم ضغنا ولا يذهبن أحد فى تأويله الا إلي أن بروتاس المسكين واقع فى حرب مع نفسه أذهلته عن مظاهر الودالتى تعودها منه الاصدقاء :

— اذن فلقد أسأت تأويل عواطفك يا بروتاس وإن فؤادي ليطوى اسراراً خطيرة ودوت لو افضيت بها اليك نبئني يا بروتاس يا صالح . هل يمكنك أن ترى وجهك ؟

— لا يا كاسياس لان العين لا ترى نفسها إلا بمرآة

— طبعا . آسف يا بروتاس اذ ليس لديك مثل تلك المرآة التى تظهر لعينيك محاسنك وفضائلك الخفية حتى تستطيع أن تقدر نفسك حق قدرها . لقد سمعت كثيرين من أذكياء الرومان ونبلائهم ما عدا ذلك القيصر الخالد يلهجون بذكر بروتاس وهم يئنون تحت نير هذا العصر . ويودون من صميم افئدتهم لو أن بروتاس الشريف فتح عينيه .

— الى أي الاخطار تجرني يا كاسياس حتى لتحملني على أن أبحث فى أعماق نفسى عما ليس فيها ؟

— إذن فلتتهيأ للسمع أيها الرجل الصالح وكما تدرى انك

لاتستطيع أن ترى نفسك جيدا الا بمراة فهأنذا مرآتك اكشف لك ـ وأنا أعظم مايكون دعة وتواضعا ـ عن مزايا نفسك المستترة ولا تحقدن علي يابروتاس ياصالح . فاذا عهدتني مهذارا مستهزئا أومبتذلا ألقى حبل الصداقة على غاربه لكل من أراد أن اتكلف الاخلاص للناس وأبالغ فى مظاهر حبهم ثم أروغ منهم وأنال أغراضهم بالنميمة وأشخاصهم بالهجاء واذا عهدتنى ممن يولمون الولائم للجماهير ويتملقونها . أقول اذا عاهدتني على ذلك الخلق فاعددنى خطراً

— مامعنى هذا الصياح ؟ أخشى أن ينتخب الناس قيصر ملكا :

— أجل أتخشى ذلك يابروتاس ؟ اذاً فلاظن انك لاتريد أن ترى الامور جارية هذا المجري

— لااريد ياكاسياس وإن أحببته حبا جما . ولكن علام تحبسني ههنا طويلا ؟ ماالذى تبغى أن تسره (١) الىّ ؟ اذا كان ثمة أمر فيه صالح عام فلتضعن الشرف امام عين والموت الزؤام أمام الاخرى انظر الى كليهما على السواء دون ماايثار (٢)

---

(١) تجعله سرا (٢) تفضيل

ولتوفقنى الآلهة فى حياتى بقدر مايحلو لى اسم الشرف اكثر مما أهاب الردى

— انى لاعرف تلك الفضيلة فيك يابروتاس كما أعرف ملامح وجهك . حسن جدا . ان الشرف لعنوان حديث لايمكنني أن أعرف كيف تري انت وسائر الناس هذا العيش أما أنا فأود لو أني لاأحيا ذليلا صاغرا لشيء مثلى . لقد خلقت حرا كقيصر وكذلك انت وأطعمنا كلانا مثله ونقدر أن نتحمل زمهرير الشتاء مثله . على انه قد حدث فى يوم عاصف ذى هوج (١) عاتية اضطرب لها نهر « تيبر » وعب عبابه وثارت شواطئه ان قال لى قيصر أتجرؤ ياكاسياس على ان تثب معي فى النهر نقتحم لجه الثائر ونسبح الى حد كذا ؟ قسما بالآلهة ماقالها وانا هكذا مدجج حتى القيت بنفسى فى العباب المضطرب وقلت له اتبعنى ففعل . ثار ثائر العباب ولكن اقتحمناه بعضلات الصناديد وضربنا ثبجه (٢) بسواعد من حديد وقلوب من الفولاذ وبأس شديد . ولكن قبل

---

(١) جمع هوجاء الرياح الشديدة (٢) موجه

أن نبلغ المقصد التفت فاذا قيصر العظيم يصيح « أدركنى يا كاسياس وإلا أموت من المغرقين » ! وكما حمل « اينياس » أحد اجدادنا الغابرين أباه الشيخ « انشيزيس » على كتفيه ونجاه من ضرام « ترواي » كذلك حملت قيصر نا المكدود وها هو ذا قد أصبح إلها وما كاسياس إلا مخلوق بائس يحنى هامته اذا ما تكرم قيصر فأومأ اليه اية إهمال واحتقار . لقد أصابته الحمى فى اسبانيا وكنت ارقبه كلما اعترته نوبتها ورأيت كيف كان يضطرب . حقا ان هذا الاله كان يضطرب وقد فرت شفته من لونها فرار الجندى من لوائه وان نفس العين التى اذا نظرت شزرا أرعبت العالم فغدت لألاءها ورواءها . ولقد سمعته يئن تحت عبء السقام وسمعت ذلك اللسان الذى أمر الرومان ان يرهفوا له مسامعهم ويدونوا خطبه فى كتبهم يصيح صيحة فتاة عليلة « اعطنى شرابا يا « تيتينياس » فيأتيها الآلهة لقد يدهشنى جد الدهش ان أرى رجلا تلك صفاته الضعيفة يتحكم على العالم بأسره وينفرد باحراز قصب السبق فى ميدان الحياة .

هذه صيحة عامة أخرى ! ما هذا التهليل الا مظاهرة

اجلال واعظام لقيصر .

فقال كاسياس لصاحبه : ولم لا يأمها الرجل ؟ انه ليشغل العالم الضيق وحده كالغول « كولوسوس »(١) ونحن الرجال المحتقرين ليس لنا الا أن ندب تحت أقدامه العظام ونتلفت حولنا ذات اليمين وذات اليسار ، باحثين عن رموس(٢) سحيقة تحجبنا عن الانظار . ان الرجال فى بعض الاوقات موالى(٣) جدودهم(٤) وان الخطل يابروتاس العزيز ليس بواقع فى نجومنا ولكنه مستقر فى نفوسنا التي ارتضت الذل والهوان. بروتاس! وقيصر ؟ أية ميزة بالله فى ذلك القيصر ؟ لم يرن ذلك الاسم فى المسامع أحسن من اسمك ! اكتبهما معا تجد اسمك لا يقل عن اسمه لطفا . الفظهما تجد اسمك حلواً فى الفم كاسمه . زنهما تجده راجحا مثله . حضر الارواح بهما يدع لك اسم بروتاس الشيطان بأسرع مما يدعوه اسم قيصر . استحلفك باسم جميع

---

(١) كولوسوس روديس زعموا تمثال هائل جداً من البرنز جاثم على مدخل الثغر مادّاً إحدى رجليه الى طرف الثغر والاخرى الى الطرف الثانى (٢) قبور (٣) أسياد ، هذا اللفظ من الاضداد (٤) حظوظهم

الآلهة ألا نبأتنى بأى نوع من اللحوم يتغذي قيصرنا حتي أصبح هكذا عظيما ؟ ؟ عار عليك أيها العصر ويحك يا روما فلقد فقدت سلالة الدماء الزكية الشريفة ! فى أي عصر من العصور منذ الطوفان الاعظم تحكم فيك رجل فرد واستبد ؟ من ذا الذى يقول إن روما العظمي لم تحو أسوارها الكبرى الا رجلا فرداً . فهل هى روما حقا الفسيحة الارجاء وما فيها الا رجل واحد ؟ يا ويحنا لقد سمعنا آباءنا يقولون : لقد كان فى روما رجل يدعى (بروتاس « كان أهون عليه أن يقيم الشيطان الرجيم دولته فيها من أن يسيطر عليها ملك

فقال له بروتاس أما حبك لى فلا محل للريب فيه واما ما تحرضنى عليه فأني لمفكر فيه وسأفضي اليك فيما بعد برأيي فى احوال هذا العصر . أما الآن فأنى لارجوك بسالفة الود أن لا تسترسل فى تحريضى . سأتدبر ما قلته وسأصيخ (١) بكل هوادة (٢) الى ما عسي ان تزيد وسأوجد الوقت المناسب لسماع امثال تلك الدواعى السامية وأجابتها وحسبك ما قلت وتريد أيها الصديق الشريف فى أمرك . لقد يؤثر

---

(١) اصغى (٢) تان وتريث

بروتاس ان يكون حليفا قدما (١) على أن يكون من أشهر ابناء روما تحت نير هذه الظروف المظلمة التى قد تجر على البلاد ضيما ووبالا.

قال انى لمغتبط أن ارى كلماتى الضعيفة قد أمررت من زناد بروتاس هذا المقدار من الشرر.

ولاحظ بروتاس ان اللعب انتهى فقال له صاحبه اسحب كاسكا من كمه بينا يمرون ليروى لنا بأسلوبه الشاذ ما جرى من الامور التى تستحق ذكرا. ولما عاد قيصر فى حاشيته لاحظ أن ملامح الغضب تتجلى فى وجهه وكأن جميع الذين في معيته ملمة أو زجرهم زاجر وأن كاليورنيا زوجته قد شابت الصفرة وجنتيها وشيشرون أحد النواب يلقي بالشرر من عينيه الحادتين شأنه إذ يعترضه معترض فى بعض المناقشات. قال الداهية كاسياس سينبئنا صاحبنا كاسكا بكل ما حدث

واذا بقيصر ينادى صديقه انطونياس ويقول له اجعلن حولى رجالا سمانا خامرى الأدمغة يهجعون (٢) الليل هادئين. هذا كاسياس ان له لنظرات حادة نهمة (٣) انه ليطيل

---

(١) جاهلا (٢) ينامون (٣) جشعة طماعة

التفكير والتأمل . ان العجاف المهزولين أمثاله لخطر عظيم فقال انطونياس لا تخشى منه ياقيصر شيئا فهو ليس بخطر . انه لروماني فاضل قويم المباديء . قال وددت لو أنه أسمن ! ولكني لا أهابه . على أنه اذا كان لاسمي أن يخاف فلا أعرف فيمن أعرف من الرجال رجلا ينبغي أن أتقي شره مثل كاسياس ذلك الهزيل المحزون . انه عاكف على الدرس والاطلاع . انه لرجل بصير بليغ النقد حتي ليستشف بحدة بصيرته ماوراء الغوامض من اسرار الرجال وخفايا ضمائرهم . أنه لراغب عن الهزل في الجد على نقيضك ياأنطوني ولا يهوى حتى سماع الموسيقي ويندر أن يرى باسما واذا قدر له ان يبسم فقد يبسم بسمة خرقاء كأنما يقرب نفسه ويزجرها وكأنما يحتقر عقليته إذ تهتز للابتسام لأمر ما . ان أمثاله من الرجال لا يمكن ابداً أن تدخل أفئدتهم الطمأنينة اذا ما رأوا أعظم منهم . ان هؤلاء لخطر عظيم . ما أنا الا مخبرك عن نيفي أتقاء شرهم لا يمهد نيفي أن أخشاهم . لانني دائما قيصر . تعالى الى جانبي لايمن فان هذه الاذن صماء وخبرني بحق ما رأيك في ذلك

الرجل ؟ قال صاحبه ما اظنه هكذا خطيرا انه لرجل قويم المباديء .

رأينا قيصر خارج من المحفل فى حاشيته سحب بروتاس كاسكا من كمه كما أوصاه صديقه كاسياس وطلب اليه ان يخبرهما بما حدث فقال : كان ثمة تاج قدم اليه واذ قدم اليه تنحي عنه يظهر يده هكذا ثم صاح الجمهور الوديع فقال له صاحبه وهو يحاوره وعلام كانت الضوضاء الثانية قال لذلك أيضا . فقال له كاسياس : لقد صاحوا ثلاثا . اذن فعلام كانت الضجة الاخيرة ؟ قال لذلك ايضا فقال له بروتاس هل قدم له التاج ثلاثا ؟ قال نعم وتنحى عنه ثلاثا كل مرة الطف من أختها وكلما تنحى عنه صاح جيراني الكرام (١) فسأله كاسياس الداهية من الذى قدم اليه التاج ؟ فأجاب لماذا ؟ انطوني . فطلب اليه بروتاس أن يخبرهما كيف كان ذلك قال سيان عندى الاعدام شنقا وأخبارهما كيف كان ذلك . لقد كان حمقا فى حمق لم الحظه . رأيت مارك انطونى يقدم اليه تاجا على أنه ليس بتاج بالمعنى الصحيح بل هو تاج من الازهار

---

(١) تهكم

وقد أزاحه عنه مرة كما اخبرتكما ولكن رغما عن ذلك ودّ لو اخذه ثم قدمه اليه مرة ثانية فازاحه ثانية ولكني اظن ان عض بنان الندم على ابعاد انامله عنه . ثم قدم اليه مرة ثالثة فنحاه عنه مرة ثالثة وبالرغم من رفضه نعق قطيع الطغام(١). وصفق العوام بأيديهم القذرة وطوحوا بقلانس النوم التى نضحت عرقا وبعثوا بأنفاس موبوءة كادت تخنق قيصر . ولماذا ؟ لان قيصر رفض التاج . ولقد هوى الى الارض . أما أنا فلم اجرؤ على الضحك من تلك المهزلة اتقاء ان افتح فاي فيتسرب اليه فاسد الهواء . فقال له كاسياس رويداً . رويداً . ارجوك ! كيف اهل أغمى على قيصر ؟ قال لقد هوي الى الارض وأرغى فمه وازبد واصبح ابكم . فقال بروتاس محتمل جدا . إنه لمصاب بداء الهوى (٢) فاجاب اللئيم كاسياس كلا ان قيصر ليس مصابا به بل انت وانا والشريف كاسكا مصابون بداء السقوط فقال كاسكا لا اعرف ماذا تعني ولكنى موقن ان قيصر سقط . إلا فاعدد فى رجلا غير صادق اذا لم يكن الشذاذ(٣) الجهلة قد صفقوا له وهتفوا سواء أعجبوا

---

(١) جهال العامة (٢) السقوط (٣) غوغاء الناس

أولم يعجبوا به كما يطوى الممثلون على المسارح . فسأله بروتاس وماذا قال اذ عاد الى صوابه ؟ فأجاب - قبل أن يهوى ألفى قطيع الطغام جذلا (١) اذ رفض التاج واذكر انه كشف لهم عن صدره وقدم لهم عنقه ليقطعوها ولو كنت من ذوى الحظوة لدى القوم وأحجمت عن أخذه بكلمته لوددت لو أذهبن مع الشيطان الرجيم الى جهنم مع الذاهبين . هكذا سقط . واذ أثاب الى رشده قال : ان كنت أخطأت فمعذرة وعفواً جميلا ولا تحملنى خطيئتى على غرضعفى وتغيير مزاجى . فصاحت فتيات ثلاث او أربع كن على كثب (٢) شاهدات وا اسفاه رحماك . رحماك يا أيتها الروح الطيبة وغفرن له من سويداء القلوب ولكنهن لم يلفتن الانظار يمينا الوطعن قيصر امهاتهن لما اكترثن شيئا . فقال بروتاس وبعد - أخرج هكذا كئيبا ؟؟

— اجل .

كاسياس - ألم يقل شيشر شيئا ؟

فقال باليونانية — نعم

— فيم

---

(١) فرحا (٢) قرب

— وما أدراني؟ ولكن الذين فقهوا حديثه يسر بعضهم لبعض وهزوا اهاماتهم (١) . اما انا فقد خلت كلامه اغريقي (٢) اللهجة .

ويوسعى ان ازيد كما حديثا. إن «مارلاس» وفلافياس اودعا غيابة السجن لأنتزاعهما الزخارف عن نصب قيصر . الى الملتقى . كان ثمة حمق وتفضيل اكثر من ذلك ولكني لا اذكره

كاسياس — أتتعشى معى الليلة يا كاسكا ؟

— لا . لأني مدعوّ من قبل

— اتتغذى معى غدا ؟

— نعم . اذا جئت وتمسكت بعزمك وكان طعامك شهيا

— حسن سانتظرك

— انتظرنى . الى الملتقي

— الى الملتقي ومضى كاسكا الى سبيله

وقال بروتاس لصاحبه ألا نظرت كيف هذا الرجل جافا جافيا . على انه كان ظريفا خفيف الروح أيام التلمذة ؟ !

فاجاب كاسياس : وهكذا هوا الآن اذا هم بامر جلل

---

(١) رؤوسهم (٢) يونانى

فهو وان كان ظاهر أسلوبه حيا جافيا — وقاد القريحة موفور العقل وان لهجته هذه لأشبه شيء بالتوابل تثير شهية سامعه فيهضم كلامه هضما

ليكن كذلك. والان سأغادرك وغدا اذا اردت ان تتحادث معي فسأحضر اليك فى دارك أو ان شئت فاحضر الى في منزلى وسأنتظرك.

— انتظرني. وفكر فى العالم. وودع كل منهما صاحبه ومضى الى سبيله

وبينما كاسياس سائر الى منزله كان يطيل الفكر والتأمل ويناجى نفسه بقوله: حسن يا بروتاس. انك لشريف. على انى أرى ان عنصرك الكريم يمكن تحويله عن جوهره فلذا ينبغى ان العقول الشريفة تجتمع بأمثالها أبدا. ومن ذا الذى بلغ من السيئات مبلغا لا يمكن معه ان يلويه التحريض. ان قيصر ليحمل لي حب الضغن ولكنه يطوى لبروتاس السوداء فلو أني برناس الآن ولو أنه كاسياس لما استطاع أن يؤثر على ساكتب الليلة منشورات عدة بخطوط متباينة ترمى الى تعظيم اسمه فى نظر روما وتبين جشع قيصر وألقى بها فى نوافذه.

ثم يتقرر قرار قيصر . فأنا سنهزه والا اصابتنا محن شداد !

ولما جن الليل اضطربت السماء وعصفت الهوج العاتية وكانت مظاهر الطبيعة كأنها أشبه شيء بدوران رحى الحرب على ان كاسكا خرج شاهراً حسامه في إبان الغسق فقابله شيشرون الحكيم المحنك فقال له عم مساء ياكاسكا .

اصبحت قيصر الى بيته ، لم اراك مقطوع الانفاس ؟ ولماذا تحملق هكذا ؟ قال ألم تهتز وقد اهتزت الارض بحذافيرها اهتزاز اوهى الاشياء واضعفها ؟ أي شيشرون لقد رأيت عواصف هوجاء استأصلت اصخم الروح وابصرت المحيط الطاغى الطموح يرغى ويزبد ويثور ، ليسامى على السحب المتوعدة بالويل والثبور . يمينا لم يكن لى عهد الا فى هذه الليلة بهوجاء تمطرنا ضراما . فاما ان تكون ثمة وغى فى السماء ، واما ان العالم اغضب الآلهة فأنذرته بالدمار والفناء

— لماذا ؟ هل رأيت من الغرائب شيئا ؟

— رأيت رجلا تعرفه رفع يسراه وهى تضطرم كأنها عشرون مشعلا تتقد . على ان يده لم تمس اللهب ولم يمسسها سوء . وما كدت اشهر سيفى علي كثب من دار الحكم حتي

ابصرت ضرغاما حملق فى وجهى ومر بجانبي دون ان يؤذينى وطافت بالسبل مائة امرأة فى صفرة الحمام(١) كأنهن اشباح مخيفة من فرط ما تنكرت معارف وجوههن واقسمن انهن رأين رجالا فى هيا كل من سعير تغدو وتروح . وامس حط طائر الدجى المشئوم فوق السوق فى رابعة النهار وجعل ينعق وينذر بالشوم اذ توالت تلك الخوارق فلا يقولن الناس ان اسبابها كيت وكيت إنها لطبيعة . وهى نذر فرق الجو الذى تومىء اليه .

— حقا انه لوقت عصيب ؛ ولكن الرجال يقولون الاشياء وفقا لاهوائهم على النقيض من حقائقها . أيحضر قيصر الى ذر الحكم غداً ؟ — سيحضر لانه أمر انطونياس أن يبلغك انه سيحضر غداً . — أسعد الله ليلتك يا كاسكا ان هذا الجو الثائر لخليق أن يتقى شره .

— إلى الملتقي يا شيشرون . وافترقا وبينا كاسكا سائر فى طريقه اذ قابله الداهية كاسياس وبعد أن تبادلا السلام والتحية قال الاول لصاحبه : أية ليلة ليلاء هذه يا كاسياس ؟!

---

(١) الموت

قال ليلة سارة جدا للرجال الاشراف .

— من الذى عرف أن السموات تتهددنا هكذا ؟ !

— اولئك الذين عرفوا أن الارض مفعمة شرا . اما انا فقد ضربت فى السبل معرضا نفسى لمخاوف الظلام . وهذا صدرى العارى كما ترى عرضته للصواعق ولما ارعدت السماء وأبرقت فغرت فاها وأرسلت الوعيد كشفت لها عن صدرى وجعلته لبلاياها هدفا

فقال له صاحبه وهو يحاوره وقد تجلت فى وجهه ملامح الدهش : علام تستفز غضب السماء إلى هذا الحد ؟ ان على الناس أن يذعروا ويرتعدوا عندما تبعث الآلهة المتناهية في العظمة بأمثال هاتيك النذر لتنزل على قلوبنا رعبا .

ـ قال انك لغبي يا كاسكاوان جذوات الحياة التي تتقد فى نفس الرومانى لتعوزك او انك لا تستعملها . انك لتصفر وتحملق وتذلق لباس الخوف وتستغرق فى الدهش اذ ترى قلب السماء ولكنك اذا تدبرت الامر وبحثت عن سبب هذه النيران وتلك الاشباح التى تتسلل جوف الليل اليهم والاطيار والضواحى التي تخرج عن اطوارها الطبيعية والشيوخ الذين

يخوفون الاطفال التي تسدد القول ـ اذا بحثت عن سبب كل هذة العجائب ايقنت ان السماء اوجدت تلك العناصر لتجعلها اداة للخوف ونذير بأمر جلل او تسمح لى يا كاسكا ان اذكرلك رجلا هو اشبه شيء بهذه الليلة المخيفه رجلا يرعد ويبرق ويفتح القبور ويزأر زئير الليث الذي شهدناه على كثب من دار الحكم رجلا ليس باعظم ولا بافضل حتى مريعا كتلك الخوارق المدهشة غضوبا كغضب البحر والسماء ؟ . . .

— انه لقيصر الذى تقصد . اليس كذلك يا كاسياس ؟

— ليكن كائنا من كان فان للرومان اليوم سواعد وعضلات كاشياهها لاسلافهم العظام ولكن تبا لهذا الزمن الغادر أن أحلام (١) آبائنا أودت (٢) وغدونا محكومين بارواح أمهاتنا . حقا ان السير الذى تنوء تحت كلكله ليدل على اننا نساء .

— حقا . إنهم يقولون إن النواب يريدن أن ينادوا بقيصر ملكا غدا وسيلبس تاج الملك برا وبحرا فى كل مكان عدا ايطاليا .

---

(١) عقول (٢) هلكت

ـ إذن أعرف أين أغمد هذا النصل ـ إن كاسياس ليحرر من العبودية كاسياس . فـفي ذلك المسعى تجملن يا أيتها الآلهة الضعيف قويا وتهزمين الظالمين فما من معاقل (١) سماء (٢) صلداء ولا جدران من حديد ولا سجون حبس عنها الهواء ولا عوائق من صلب وفولاذ تستطيع ان تحول دون النفس بحائل . ولكن الحياة وهى متعبة مضناة سائمة من تلك المواقع العالمية لا تحتاج ابدا الى قوة تدفعها للخلاص . فاذا ما عرفت ذلك فأن ذلك الجزء من الاستبداد الذى أعاينه لفي طاقتى أن أنزعه عن نفسى متى أردت دون (٣) ما عناء .

— كذلك استطيع . كذلك كل مستعبد مسكين يملك القوة التى تلغى أسره

وأنهما ليتحاوران والسما لا تزال ترعد وتبرق .

قال كاسياس ـ اذن لم يكون قيصر جبارا ظلوما يا أيها المسكين ؟

انى اعرف انه لم يكن ذئبا الا لانه رأى الرومان قطعانا من الانعام . ان هؤلاء الذين يضرمون نارا عظمى يبدؤونها بمستضعف العود ما أحط روما وادناها وأسقطها اذ تكدح (٤)

---

(١) حصون (٢) عاليه (٣) ما زائدة (٤) تتعب

وتتصب لذلك الغرض الخسيس ـ لاضاءة شيء هو من الحقارة بمكان كقيصر وا أسفاه الى اين تقتادني ايها الأسى؟ من يدريني ربما اصرح بذلك لعبد خاتع ذليل فأؤوب بقصاص اليم .

ولكن لافأبي لمدجج والاخطار لدى هبله.

— إنك لتحادث كاسكار تحادث رجلا ليس بالنميمة مشاء على رسلك . هذى يدى . كن دائبا على علاج تلكم الآلام وسأستحث قدمى الى اقصى مدى مستطاع

اذن لقد تم الاتفاق : اندرى يا كاسكا انى هززت طائفة من أنبل الرومان واكبرهم عقولا ليشركوني في تنفيذ مهمة ذات نتيجة خطيرة شريفة . واعلم انهم الان ينتظرونني فى رحبه « پومبي » لان فى هذه الليلة المخيفة لاينبغى السير فى الطرقات . وان معارف الطبيعة لادني شبها من وجه العمل الذى بين ايدينا ذلك العمل المتناهى فى الفظاعة والخطر

— اذن مني واصمت مليا فانى لارى رجلا مقبلا على عجل

— انه « سينا » أعرفه بمشيته(١) . انه لخليل . ولما تبينا

---

(١) بكسر الميم تدل على الهيئة

وجهه قال كاسياس لماذا تسرع هكذا ؟

— لا . انه كاسكا أحد المشتركين فى مساعينا . اليس القوم فى انتظاري يا سينا

— انه لنبأ سار . ما افظع هذه الليلة !! لقدرأى بعضهم غرائب شتي .

— أليس القوم فى انتظارى . اجبني؟

- بلى انهم فى انتظارك . آه ياكاسياس ! وددت من صميم فؤادى لو استطعت ان نضم النبيل بروتاس الى عصبتنا !

- ليطمئن بالك ياسينا يا صالح . خذ هذه الورقة وضعها على كرسى القاضى بحيث لا يجدها الا بروتاس والق بهذه فى نافذته . والصق هذه بالشمع على تمثال بروتاس القديم ثم يمم رحبة بومبى تجدنا هناك مجتمعين . اديشيساس بروتاس وتريبونياس هناك

- جميعهم ما عدا متالاس سمير وقد ذهب ليبحث عنك فى منزلك . حسن سأسرع لاضع هذه الاوراق كما امرتنى

— بعد اتمام ذلك عد الى رحبة بومبي .

— نعم وذهب سينافى مهمته بعد ان سلم .

وقال كاسياس لصاحبه وهو ألهب ما يكون حمية تعال ياكاسكا سنذهب كلانا قبل ان يتنفس الصبح الى دار بروتاس . لقد ملكنا ثلاثة أرباعه وفى المقابلة التالية سنخضع الرجل بأكمله لنا

— مرحى ! ان له لمنزلة عليا فى قلوب الناس وان مايبدو من نقائصنا سنعمل فية معونته عمل الكيمياء فتميل زميلتنا الى فضيلة .

— ان شخصيته البارزة وقيمته الغالية وحاجتنا العظمي اليه قد قدرتها حق قدرها . هيا بنا فقد مر علينا منتصف الليل . وقبل ان تلوح تباشير الصباح سنوقظه ونتثبت من أمره . وذهبا الي رحبة بومبي ليقابلا أنصارهما .

الفصل الثانى
(المؤامرة)

منذ محادثة كاسياس لصاحبه بروتاس لم ينم هذه الليلة بل اقض علية المضجع وبات نهبا للوساوس والاوهام وأثر السهاد وألهم فيه تأثيرا عميقا . وفى الليلة عينها انتفض من مضجعه مذعوراً ولما يمض الهزيع الاول من الدجي وايقظ خادمه وكان غاطا فى نومه ولا بدع فهو خلي البال رضى الحال وامره ان يوقد فى غرفة مطالعته مشعلا فلبي الغلام امره .

فظل يناجى نفسه بصوت عال ولكن لا تسمعه الا جوانحه وسرائره حتى لقد طرق صوت تلك النجوى مسمع وجدانه فى اقصى أعماقه - جعل يقول فى نفسه: لا بد أن تكون حرية روما بقتل قيصر : أما أنا فلست أطوى له ما يحدوني (١) الي ايذائه ولكن الصالح العام يستفزنى . انه ليبقي (٢) أن يتوج كيف يغير ذلك من طبعه ؟ هذا هو السؤال. ان اليوم الوضاء المنير لهو الذى يلد الأفعى الرقطاء فيتطلب الحذر فى المسير

---

(١) يدفعني (٢) يريد

هل يتوج ؟ اذا تم ذلك أنى لضامن أنا جاعلون له ذنبا لا دغا- يمده بالاذى كيفما شاء . إن آفة العظمة لهي ان تحول بين القوة والشفقة . ولننظر بعين البصيرة إلى قيصر . اني ما عهدت عواطفه وأهواءه تغلبت يوما على حكم عقله . ولكن لقد دلت التجاريب على أن الضعة (١) سلم للطمع صغير يتجه اليه المرتقى الي العلياء حتى اذا ما بلغ أعلى درجة ولى هذا السلم ظهره وتطلع الى السحب محتقرا تلك الدرجات الوضيعة التى ارتقى بها . ولعل ذلك شأن قيصر . اذن فلندرأ (٢) أمانخشى أن يقع . ولما كان النزاع القائم بيننا وبينه لا مبرر له من اخلاقه فى حاضره فأنه ليصح تعليله هكذا — ان ما هو عليه فى حاضره اذ اتغالى فيه فلا بد من ان يجر الي حد كذا وكذا . فلهذا يعد كأنه جرثومة افعي اذا ولدت اصبحت كعنصرها خطراً كبيرا . فاقض على تلك الجرثومة قضاء .

وقبل ان يدخل مكتبه جاءه خادمه وقال له هاك هذه الورقة فقد وجدتها على النافذة بينا انحث عن زناد اورى به النار واني لموقن انها لم تكن (٣) حين عدت الى مخدعى .

---

(١) التواضع (٢) تدفع . تمنع (٣) توجد

فأخذها بلهف وقرأها وهذا نصها : —

« أنت نائم يابروتاس ، استيقظ وتأكد من نفسك ، هل روما الخ تكلم ، اضرب عالج ، أنت نائم يابروتاس ، استيقظ ! »

قال اذهب ياغلام وانظر التقويم الم يكن الغد ياهذا منتصف مارس ؟

لبيك يامولاى وانصرف الخادم ولما خلا في مكانه ناجى نفسه بقوله : ان امثال هذه الكتب المحرضة طالما القيت فى نافذتى — « هل روما الخ » هكذا سأكمل الجملة : — هل روما تقع تحت رعب رجل فرد ؟ ما هذا ؟ روما ؟ ان اجدادى طردوا « طاركوين » من روما اذ نودى به ملكا . — « تكلم . اضربه . عالج » هل ارجى ان اتكلم واضرب ؟ آه يا روما ! اني لأعدك وعدا ، فاذا قدر لك العلاج فستنالينه على يد ابنك بروتاس موفورا ! واذا بخادمه قد عاد إليه بقول سيدى . مضى من مارس خمسة عشر يوما . وطرق الباب بروتاس لخادمه : حسن . اذهب الى الباب ان ثمة لطارقا ولما خلا إلى نفسه جعل يناجيها بقوله : منذ شحذنى كاسياس

على قيصر لم اذق طعما للكرى (١) . ان الفترة التي بين العمل المخيف وأول خاطر لتحكي حلما مريعا وأن النفس وباقي الحواس الفانية لهن اذ ذاك أشبه شيء بشهود مناقشة حادة ودولة المرء كأنما هي مملكة صغرى تقاسي آلام الثورة والاضطراب . واذا بالخادم لوسياس قد عاد وقال لسيده مولاى أن أخاك كاسياس على الباب يريد ان يراك

قال أفريد هو ؟ قال لا ياسيدي معه آخرون .

— اتعرفهم ؟

— لا يامولاى . ان قلانسهم (٢) المجذوبة الى آذانهم ونصف وجوههم مخبوء فى ثيابهم فلم اتمكن بأية حال من استطلاع معارفهم .

ـ دعهم يدخلوا (٣) ولما خرج الغلام لاستقبالهم قال بروتاس مناجيا نفسه وقد بلغ منه التأثر غاية ليس وراءها غاية :

ويحك ايتها العصابة ! ويحك ايتها المؤامرة ! اتخجلين ان

---

(١) النوم (٢) جمع قلنسوة ما يلبس على الرأس

(٣) مجزوم في جواب الامر

تكشفى عن وجهك الاسود فى إبان الظلماء والشرور طليقة حرة ؟ ويلك . فما أنت صانعة ضحى ؟ أين تجدين كهفا كثيف الظلام يخفى طلعتك الشنعاء ؟ لا تعالجى التنكر يا أيتها المؤامرة بل أخفي وجهك وراء ستار البشاشة والابتسام فأنكره ان ظهر عليك باطنك فان دجى (١) جهنم لأدني (٢) سوادا من أن تواريك عن الانظار . . .

ودخل عليه المتآمرون كاسياس وكاسكا وديشياس وسينا ومتالاس سمبر وتريبونياس وقال أولهم أخالنا (٣) أزعجنا عليك راحتك . نهارك سعيد يابروتاس قال

— صحوت الساعة وكنت ساهرا سواد الليل . هل أعرف هؤلاء الرجال الذين بصحبتك ؟

— نعم تعرفهم جميعا وما من رجل الا أجل بروتاس وأكبره دور لو قدرت نفسك حق قدرها كما يقدر فضائلك كل روماني شريف . — هذا تريبونياس

مرحبا .

هذا كاسكا . هذا سينا وهذا متالاس سمبر

---

(١) ظلام (٢) أقل (٣) أظن أننا

— مرحبا بهم جميعا . اي هموم مترصده تحول بين جفنك والليل

— هل أسرك(١) كلمة؟ وبينا يتهامس الصديقان بروتاس وكاسانس تشاغل الآخرون بجهة المشرق فقال ديسياس هنا الشرق . ألا تطلع الغزالة من ههنا

كاسكار ـ لا

سينا ـ عفوا يا سيدي انها لتطلع من هنا وهذه أشعتها السجدية (٣) رسل النهار .

كاسكار ستعترفان بخطئكما . ان الشمس لتشرق من هنا حيث أشير بحسامي وهـذه طلائعها .

ولما فرغ الصديقان من التهامس قال بروتاس أيديكم جميعا واحدا فواحدا

وقال كاسياس . ودعونا نحلف اليمين . فقال بروتاس كلا لا يمين، اذا كانت آلام نفوسنا التي تجلت في وجوهنا ، ومصائب العصر بواعث رهبة، (٣) فلينفرط عقدنا منذ الساعة ، ولينصرف كل الى فراشه الخامل، وذروا الاستبداد يتغلغل في أحشاء البلاد

---

(١) أقول لك سراً (٢) الشمس (٣) ضئيلة جداً

حتى يودى كل منا ظلما وعدوانا ، أما اذا كانت هذه البواعث كاعتقادى تحمل اسرارا محبة تشغل حتي الجبناء ، وتحمس حتي مستضعفات النساء ، فماذا تبقي من بواعث خير من تلك تستنهض همنا للاصلاح المنشود؟ ؟ أى ميثاق خير من الرومان الحريصين على الاسرار الذين ما قالوا الا فعلوا ؟ وأية يمين أفضل من الشرف يحدوه الشرف ؟ ليكن هذا شعارنا والا سقطنا كما شاءت الآلهة ، الى الحضيض . واستحلفوا جبناء الكهنة والختالين (١) والجيف البالية وتلك النفوس الذليلة الخاوية التى ترحب بالمظالم . لدي البواعث الشائنه استحلفوا امثال هاتيك المخلوقات اذا كان ثمة ريب . ولكن لاتدنسوا الفضيلة الفذة التى تنطوى عليها مهمتنا فأن الجوهر الحر الآلىء جوهر نفوسنا وبواعثنا التى تحدونا الى تنفيذ مهمتنا ما بها من حاجة الى يمين . فأن كل قطرة من الدم الجاري فى عروق الرومانى لآثمة شر الأثم اذا أخلف مثقال ذرة من ميعاد . وقال كاسياس . ماذا ترون فى شيشرون/ أتسبرون (٢) غوره (٣) ؟ أخاله انا من المؤيدين .

---

(١) الخداعين (٢) تقيسون (٣) عمقه

كاسكا — لا نتركه

سينا — أجل مهما تكن الوسائل

متالاس — حبذا لو آزرنا (١) لأن شعره اللجينى (٢) يبتاع لنا رأيا طيباويشتري أصوات الرجال فتحبذ أعمالنا

فيقال ان حكمته حكمت أيدينا وان مساؤبنا من سورة (٣) ووحشته وطيش لتفنى فى حكمته جميعا فقال الشريف بروتاس كلا لا تذكروه . نحن لا نتفاوض معه فهو لا يتبع أمرا بدأه غيره أبدا

وقال كاسياس اذن فدعوه

كاسكا — حقا انه غير لائق

ديشياس — ألا يمس أحد غير قيصر ؟

كاسياس — ملاحظة ديشياس وجيهة أظن انه لا يحسن ان مارك انطوني وهو على ما هو عليه من الولاء لقيصر يعيش بعده فانا سنجد فيه منتقما بصيرا وأنتم تعرفون وسائله لا سيما اذا أصلحها فاربما جلب لنا المنت (٤) جميعا

فاذا اردتم ان تدرؤوا الخطر فليسقط انطواني وقيصر معا .

---

(١) ساعدنا (٢) الفضى (٣) حدة (٤) المشقة والتعب

فقال بروتاس - ان طريقنا لتكونن دموية ودموية جدا يا كاسياس ، اذا استأصلنا الرأس ثم هشمنا العظام كالانتقام فى الموت والحقد بعده . فلنكن مضحين لا قصابين (١) يا كاسياس انا جميعا لنقف ضد روح قيصر ولا دم فى روح الرجال.

وارحمتاه ! أليس فى وسعنا ان ننال روح قيصر دون أن نهشم قيصر ! . ولكن وا أسفاه لابد ان يدمي قيصر لها . ويا أيها الاصدقاء الاخيار دعونا نقتله بشجاعة لا بحقد . دعونا نجعله وعاء لائقا للآلهة ولا نهشمه كجثة تخطفها (٢) الطير والكلاب ودعوا أفئدتنا تفعل فعل الاسياد الاكياس (٣) يستفزون خدامهم لامر غضوب حتى اذا اقدموا عليه غضبوا وانحوا عليهم باللائمة والتأنيب . فيظهر غرضنا بمظهر الاضطرار لا الحقد فيسمينا الرأى العام اطباء لا سفاحين . أما مارك انطوني فلا تفكروا قط فى ايذائه فليس فى وسعه ان يعمل اكثر من ذراع قيصر وقد انحنت هامته

---

(١) جزارين (٢) أى تخطفها اذا اجتمعت تاء آن فى المضارع جاز حذف اولهما (٣) جمع كيس بفتح الكاف وتشديد الياء مع كسرها أى حكيم

كاسياس — على أنى اخشاه لفرط اخلاصه لقيصر .

— وا أسفاه يا كاسياس يا صالح ! لا تفكر فيه ، اذا كان يحب قيصر فان اقصى ما يستطيع عمله هو ان ينتحر حزنا عليه ، وعندى ان هذه لتضحية عزيزة عليه لولوعه بالضعف والترف وحب الظهور

تريبونياس — لا خوف من هذه الناحية كما يقول السيد الشريف بروتاس فلا تقتلوه فسيحيا ويضحك من هذه الفكرة فيما بعد . واذا بالساعة قد دقت فقال بروتاس صه . عدوا الدقات : كاسياس ـ دقت الثالثة تريبونياس — لقد آن وقت الانصراف

كاسياس ـ ولكن لا يزال ثمة ريب فى حضور قيصر اليوم لانه أصبح متطيرا (١) منذ عهد قريب على نقيض آرائه فى الاحلام والطيرة فيمكن ان تلك الغرائب التي بدت له ورآها جميع الناس لا سيما اضطراب هذه الليلة التي لم ينهدلها مثيلا فضلا عن تحريض العرافين وزاجرى الطير الذين بين يديه ـ يمكن (٢) ان يمنعه ذلك عن الذهاب الى دار الحكم اليوم .

---

(١) معتقدا فى الطيرة أى الخرافات (٢) النكرار هنا الطول الفصل

ديشياس ـ لاتكترثوا لذلك أبدا فأنه اذا أعتزم القعود فسأؤثر عليه وأغلبه على أمره لانه يهوى أن يسمع أن الطوارى (١) تخوفها الاشجار والذئاب يرعبها الزجاج والفيلة ترديها (٢) الحفر وآساد الشرى توقعها الشراك (٣) والرجال يخدعهم المتملقون . واذا أخبره انه عقب المتملقين أجل فاذا هو أكبر مخدوع . دعونى اعمل ، فأني لاعرف كيف أكيف مزاجه واحمله على الذهاب الى دار الحكم طائعا .

كاسياس ـ اجل سنذهب اليه جميعا لنحضره

بروتاس ـ فى الساعة الثامنة . أهذا اقصى ميعاد ؟

سينا ـ ليكن اقصاه فحافظوا عليه .

متالاس ـ ان كاياس ليجاريا س ليحمل على قيصر غب (٤) الضغن لانه أنبه تأنيبا عنيفا إذ امتدح « بومبي » . أعجب كيف لايخطر ببال أحد منكم !

بروتاس ـ اذاً فاذهب اليه يامتالاس ياصالح انه ليحبني حبا

---

(١) الوحوش (٢) تهلكها (٣) الحبائل

(٤) كناية عن الحقد الشديد

جما وقد أسديت (١) اليه من اليد (٢) ماحمله على مصافاتى الىّ به لاحرضه

كاسياس — لقد أدركنا النهار سنغادرك يابروتاس .وأنتم أيها الاصدقاء تفرقوا ولكن عليكم جميعكم أن تذكروا ماقلتموه وبرهنوا على انكم رومانيون أحرار

بروتاس — أيها الافاضل : لتطلق أسارير وجوهكم . لاتلبس ظواهركم ثياب بواطنكم بل تجشموا آلامها واخفوا مضاضتها بصبر وجلد وأنتم أشبه شيء بممثلينا الرومان . نهاركم سعيد .

— نهارك سعيد مبارك . وانصرفوا جميعا . ولما خلا الى نفسه نادى الى خادمه لوسياس :يابنىّ : يالولاس : أغارق أنت فى نومك ؟ . . . لابأس استمر فى لذة النوم العميق المعسول لا مخاوف لديك لاوساوس تثقل دماغك بالهموم والآلام فلذا انت هاجع ملء جفونك

واذا بزوجته المحبوبة بورشيا قد دخلت فقطعت عليه تأملاته فقال لها : ماذا تقصدين يابورشيا ؟ علام تستيقظين

---

(١) منحت (٢) المعروف

الان ؟ ليس صحيا أن تعرضى جسمك النحيل هكذا لرطوبة الصبح القارصة .

قالت كذلك شأنك . لقد نهضت من الفراش متململا ضجراً وعشية أمس قمت من على الخوان (١) على حين غرة ومشيت جيئة وذهابا متالما متأوها محملقا تبعث مقلتاك بالشظايا (٢) وذراعاك مشتبكتان واذ سألتك ماخطبك رميتنى بشرر من نظراتك المتأججة فاستحثتك فحككت رأسك وضربت الارض بقدمك غضوبا نفورا فالححت عليك فلم تنبس ببنت شفة بل أومأت الى بيدك إيماءة غضب ان أدعك وحيدا . ففعلت اتقاء ان ازيد عليك قلقك المتلهب على انى أملت ألا يكون ذلك إلا يكون اثرا من آثار تلك الخواطر الذاهبة التى تتطرق الى فكر كل انسان دون ان يعرف لها سببا معقولا . ان همومك قطعت عليك شهيتك ومنطقك ومنامك وقد تملت آثارها فى محياك واثرت فى صحتك تأثيرا عميقا يابروتاس حتى لاكاد أنكرك لفرط ما تنكرت ملامحك من تأثير تلكم الاوهام التى نغصت عليك عيشك

---

(١) الخوان المائدة (٢) شظايا النار جمع شظية شررها

وجلبت عليك الاشجان والالام . أيامولاي العزيز . أرجوك ان تفضي الى بهمومك وأوصابك لعلى اخفف عنك منها يسير

قال . ما بي إلا تغير في المزاج

قالت قال بروتاس الحكيم واذا كانت صحته في انحراف فقد يتخذ الخيطة فيغدو سليما

قال — ما هذا . هكذا أنا فاعل يا بورشيا يا صالحة

— اذهبي الى مخدعك واستريحي

قالت أبروتاس مريض ؟ واذا كان مريضا فهل يصح أن يغدو ويروح مكشوف الصدر معرضا نفسه للقر ؟ لماذا ؟

أبروتاس سقيم وهو يتسلل من فراشه الدافئة ويعرض نفسه لأوبئة الجو فيزداد ضعفا والما ؟ كلا يا بروتاس مابك من ضنى في الجسم فان سقمك لمستقر في الفؤاد . وبحرمة منزلتي لديك نبئني بمتاعبك وانى لجاثية (١) أمامك ضارعة اليك . وبحق جمالى الفتان وبحق الاخلاص والولاء وبحق العلاقة المقدسة التي تربطنا وتجعلنا نفسا واحدة بحرمة كل اولئك أتوسل اليك ابتغاء أن تفضى الى

---

(١) راكعة

بأشجانك وتعلمني أى رجال اولئك الذين بكروا بزيارتك تبكيرا . فلقد جاءك ستة رجال أو سبعة أخفو وجوههم حتي من وجه الظلماء ؟

ـ لا تجثي يا بورشيا يا صالحة

ـ ما كان على أن أجثو لو كنت بروتاس الطيب الذى عهدته . بحق رابطة الزوجية نبئنى أيجوز أن لا يسمح لى بمعرفة اسرارك التى ناءت عليك بكلكلها ؟ أأنا جزء منك ناقص ما جعلت الا لاجالسك على الخوان وأهيء فراشك واحادثك احيانا ؟ الا اقيم الا فى اطراف رغائبك ؟ اذا كان هذا مركزى لديك فما بورشيا الا خليلة بروتاس لا حليلته

ـ انت زوجي (١) الصادقة الشريفه اعز لدي من قطرات دمى التى تحيي جناني (٢)

ـ اذا كان ذلك امرى فينبغى ان الم باسرارك . اسلم انى امرأة ولكن قبل كل شيء امرأة اختارها السرى بروتاس زوجة . أسلم أنى امرأة ولكن قبل كل شيء امرأة شهيرة جداً . ابنة كاتو . أفلا تظن أني اقوى من جنسى على ما أنا

---

(١) زوجتى يذكر ويؤنث (٢) قلبي

عليه من هذه البنوة وتلك الزوجية ؟ أفض الا بأعماق قلبك فسوف لا أفشى لك سرا . لقد أنهضت دليلا قويا على ثباتي بأن جرحت نفسى نخذي اختيارا .فهل أستطيع أجر على تحمل هذا الجرح ولا أقوى على كتمان اسرار زوجى العزيز بجلد وثبات؟

— انجدينى يا أيتها الآلهة واجعلينى أهلا بهذه الزوجة الشريفه .

واذا بطارق يطرق الباب فقال اسكتى . اسكتى أن على الباب لطارقا فاتركينى قليلا يا بورشيا وسأودع صدرك أسرار قلبي وأفضى اليك بجميع آلامى رويدا رويدا .

فخرجت وقال يالوسياس انظر من الطارق.ففتح الباب وعاد قائلا

— هذا رجل مريض يريد ان يحادثك

قال هذا كاياس ليجارياس الذي ذكره متـالاس تنح يا بني فخرج الغلام من لدنه فقال كيف حالك يا كاياس ليجارياس؟

قال عم صباحا من لسان مهزول .

— قال ما كان أخلقك فى هذا الوقت أن لا تربط يدك وددت لو كنت سليما .

لست مريضا اذا كان بين يدى برتاس أية مهمة هى أهل لاسم الشرف .

— ان لدى لمثل تلك المهمة ياليجارياس لوان لك اذنا سليمة للسمع .

ـ باسم جميع الآلهة التي يسجد لها الرومان

* اني لا نبذعني ههنا سقمي !

ياروح روما ! ياأشجع الاشبال سلالة أروع (١) الأسود واشرف الأسلاف . أنت كالساحر قد احييت نفسى الميتة فمرني الآن بلغ ما لا يبلغ من المستحيل فماذا تريدني على أن أفعل يامولاى ؟

ـ قال قطعة من العمل ترد السقام (٢) صحاحا

ـ ولكن ألا ترد بعض الصحاح سقاما ؟

— ذلك من شأن عملنا ايضا . ما هذا العمل با كاياس العزيز فسأكشف لك عنه ونحن ذاهبون الى من سننفذه فيه

— استحث قدمك وسأتبعك بقلب مجدد الحمية والحماس

---

* أنى سقمى هذه الجملة جاءت شطرة شعر من البحر البسيط عفوا (١) أشجع (٢) المرضى

وحسبي شرفا ان بروتاس قائدى

ـ اذاً فاتبعني . ومضيا الى سبيلهما .

* * *

استيقظ قيصر من نومه بعد تلك الليلة الليلاء المضطربة بدا على محياه العجب والدهش ولم يملك نفسه لدى هذه الخوارق والعجائب فقال : لا السماء ولا الارض كانتا فى هدوء هذه الليلة : لقد صاحت كالبورينا فى منامها ثلاثا — الويل ! الويل أغيثونا . انهم يقتلون قيصر واذا بخادمه قد دخل عليه فقال له اذهب ومر الكهنة ان يقدموا الضحية وأخبرني بما رأوه من اسرار النجاح أو الفشل

قال — لبيك يا مولاى .

ودخلت عليه زوجه المحبوبه كالبورينا وعلى محياها ملامح الدهش والاضطراب : وقالت له ماذا تعني يا قيصر ؟

أتحسب انك خارج ؟ انك لا تتحرك من بيتك اليوم

قال — قيصر سيخرج . ان الامور التى تتهددنى ما نظرت قط الا الى ظهرى وانها اذا تري وجه قيصر لا تملك إلا ان تجد فى الهرب والاختفاء .

قالت — يا قيصر أنا لا اعتقد فى الطيرة أبدا على انها اليوم تزعجنى أيما ازعاج ان بعض الناس رأوا عجائب وغرائب ومثال ذلك ان هاجت لبؤة فى السبل فاغرة فاها ولفظت القبور رفاتها وان ثمة لحرباضروسا يضطرم لظاها في عالم السحب وقد دارت رحاها على متقاتلين متوحشين في أجسام من سعير وعلى حال نظامية للهيجاء فى صفوف وكتائب وقد سالت الدماء من المعركة على دار الحكم ودوي نذير الواقعة فى الهواء دويا وصهلت الجياد وأن القتلى انينا وتسللت الاشباح والأرواح المخيفة صائحة معولة (١) فى السبل. ويلاه يا قيصر انها لخوارق مدهشة وأنى لأخشاها :

قال ما عنى ان يجدى الحذر من قدرت الآلهة نهاية حياته ؟ على أن قيصر لخارج فقد بدت تلك النذر للعالم كله لا لقيصر وحيدا قالت عندما يموت البائسون والمتسولون لا تنزل الصواعق ولكن السماوات أنفسها تعلن حين (٢) لامراء . .

قال يموت الجبناء مرات متعددة قبل حينهم وثبت الجنان

---

(١) باكية من العويل اى البكاء (٢) بفتح الحاء هلاك

لا يذوق الحمام الامرة أن اغرب الغرائب فى ملتى واعتقادى ان يهاب الناس الموت وهو غاية هى احتم من المحتم لا محالة مقبلة يوما من الأيام واذا بخادمه قد عاد فقال له ماذا رأي العرافون يا غلام؟

قال رأوا أن مولاى قد ينبغى أن يبرح داره اليوم فانهم اذا انتزعوا احشاء الضحية لم يجدوا لها فؤادا .

قال ان الآلهة لتستهزىء بالجبن والهلع. ان قيصر ليكونن حيوانا بلا فؤاد اذا هو قبع اليوم فى عقر داره خوفا ووجلا كلا . كلا ان قيصر لا يقبع ولا يقعد به الذعر ان الخطر ليعرف حق العرفان ان قيصر لا عظم منه خطرا. اننا ضرغامان توأمان وانى لاشد منه بأسا وان قيصر لخارج .

قالت زوجته وأسفاه يا مولاى . ان حكمتك لتتلاشى فى فرط ثقتك بنفسك . لا تخرج اليوم قل لرجالك اذا سألوك هو خوف زوجتى الذي قعدنى لا خوفى . سنبعث بمارك انطونى الى مجلس النواب ليبلغهم أنك اليوم منحرف المزاج. دعني أحثك على ذلك وأنا جاثية تحت قدميك .

ـ ليقل مارك انطوني ان صحة قيصر منحرفة وسأمكث

فى البيت ابتغاء مرضاتك . ها هو ذا ديشياس بروتاس ليقل لهم ذلك .

— نهارك سعيد يا مولاي العظيم قيصر . انى حضرت لادعوك الى المجلس .

— لقد جئت فى الوقت المناسب لتحمل تحياتى الي النواب وتبلغهم أنى لا أريد الحضور اليوم . « لا يمكنني » كذب ، « لا أجرأ « أكذب » ، « لا أريد الحضور اليوم » بلغهم ذلك يا ديشياس .

فقالت كالبورينا — بلغهم انه مريض.

قال ايرسل قيصر كذبا ؟ هل مددت ساعدى الى ذلك المدى من الفوز والنصر لا تخاف أن أخبرهم صدقا اذهب يا ديشياس وقل لهم قيصر لا يريد الحضور : قال يا أعظم العظماء يا قيصر اسمح لى ان أعرف أى سبب لئلا يستهزئوا بى ويضحكوا من أمرى

— السبب هو إرادتى . « لا أريد ان احضر » هذا كاف لاقناع النواب . ولكن لاقناعك شخصيا انى احبك اصرح لك ان كالبورينا زوجتى المحبوبة قعدت بى فى المنزل اذ

رأت الليلة فى المنام كأن تمثالى ينبوع ذو مائة منفذ تسيل منها دماء زكية وان كثيرا من الرومان اقبلوا مبتهجين مبتسمين وغسلوا ايديهم فيها وهى تتطير من تلكم الرؤيا وتخالها بالخطر نذيرا . وتوسلت الى جانية تحت قدمى ان لا ابرح اليوم داري

قال ان هذا الحلم قد عكس تأويله . إنها لرؤيا خير وبركة يا مولاى فتمثالك الذى كأنما تسيل منه الدماء الزكية من منافذ عدّة اغتسل فيها كثير من الرومانيين المتجهين المبتسمين يدل على ان ستمتص منك دررما العظمي دما منعشا وان عظماء الرجال سيتزاحمون ابتغاء ان يظفروا بأثر وان كان ملوثا من آثار تلك العظمة .ذلكم تأويل الرؤيا إن كنت لى من المصدقين.

قال — وهكذا لقد أحسنت التأويل

ـ أجل اذا كنت مصدقى . ولتعلم أيا مولاى ان مجلس النواب عقد عزيمته على ان يهب قيصر العظيم اليوم تاجا فاذا ما بعثت لهم برسول ينبئهم انك لا تحضر فلربما تتغير آراؤهم دع استهزاءهم برسولك فقد يقول قائل لينفرط عقد المجلس حتى ترى زوجة قيصر رؤيا مفرحة واذا أخفي قيصر نفسه أقلا يتهامسون : « ان قيصر لخائف » ! معذرة يا قيصر فما

قلت كلمتى هذه الا ولاء لك وتفانيا فى حب مصلحتك وكان فى وسعى ان أرافقك وكان ذلك أجدى لى وأجلب لرضاك عنى . ولكن غيرتى الشديدة على منفعتك أبت الا أن أصدقك القول

فقال قيصر ـ اذن فما أحمق أوهامك يا كالبورنيا ، انى لأخجل ان أرانى لها من الخاضعين . احضر لى عباءتى فانى لمن الذاهبين .

واذا بجماعة المتآمرين الخونة وكانوا على موعد قد دخلوا عليه فقال انظرى ها هو ذا بابلباس قد حضر ليدعونى

ـ نهارك سعيد يا قيصر

مرحبا بك يا بابلباس . ما هذا ؟ بروتاس ؟ هل بكرت فى اليقظة كذلك ؟ نهارك سعيد يا كاسكا . . . لم يكن قيصر عدوا لك أبدا يا كاياس ليجارياس كتلك الحمي المشؤومة التي أنحفتك وذلك الداء الذى نال منك وغلب عليك . كم ساعة ؟

فقال بروتاس دقت الساعة الثامنة ياقيصر قال أشكر لكم أتعابكم وآدابكم . واذا بصديقه المخلص أنطونى قد حضر

فقال انظرى ترى انطونى الذى يسهر الليل كله فى لهو

وطرب قد جاءني مبكراً نهارك سعيد يا انطونى

— نهارك سعيد مبارك ياقيصر بامتناهى العظمة

— دعهم يستعدوا . انى لملوم على تأخيركم طويلا . الآن ياسينا . الآن يامبتلاس سنذهب . ماذا أريد أن أقول لك ياتريبونياس ؟ حسن . حسن . ان لدى حديثا يستغرق ساعة كاملة معك : ففكرني اليوم . كن قريبا منى لأذكرك .

قال سأذكر ياقيصر وناجى نفسه وأعماق سريرته تضطرب بقوله وسأكون دانيا منك ودانيا جدا حتي أن أفضل خلانك ليودون لو كنت قصيا .

اصدقائى الاعزاء . تفضلوا فاشربوا معي قليلا من النبيذ ثم نذهب سويا كالأصدقاء المخلصين

فقال صديقه بروتاس فى نفسه ما كل شبيه بند.

آه ياقيصر ان قلب بروتاس ليضطرب لها كلما فكر فيها .

ولبوا دعوته فشربوا شيئا من النبيذ وانصرفوا جميعا وفى مقدمتهم قيصر العظيم .

***

فى اليوم الخامس عشر من شهر مارس حوالي الساعة

الثامنة والنصف صباحا وقف عراف يقال له ارتيميدوراس فى الشارع المؤدى الى دار مجلس النواب الروماني وأخذ يقرأ كتابا هذا نصه : —

ياقيصر أحذر بروتاس ، احترس من كاسياس، لا تدن من كاسكا ، لاحظ متالاس سمبر جيدا ، ديشياس بروتاس لا يحبك ، قد اسأت الى كاياس ليجارياس ، لا يوجد الا عقل واحد لجميع اولئك الرجال وانه ليطوي الشر لقيصر. اذا لم تكن من المخلدين فتلفت حولك ، لان عدم المبالاة يفسح السبيل للمؤامرة ، الا لمة القديرة تحميك ؟ محبك

ارتيميدوارس

وعول على ان يقف موقفه حتى يمر قيصر فيعطيه هذا الكتاب كأن صاحبه من بعض ذوي الحاجات ، وناجى نفسه وهو ينظر الي الفضاء بعين ملؤها الرعب قائلا انه ليحزنني أن ارى الفضيلة غير سالمة من براثن الحقد .

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى

حتى يراق على جوانبه الدم

اذا قرأت هذا الخطاب يا قيصر فربما نجوت والا فقد

يوفق الخونة المتآمرين

وبعد ذلك بقليل خرجت بورشيا زوجة بروتاس من منزلها ومعها خادمها وسارا فى نفس الطريق وهى تقول له وليس وراء ما بها من الجزع والهلع غاية : ارجوك يا بنى ان تجرى الى دار مجلس النواب ؟ لاتتريث حتى تجيبنى . اذهب على الفور عجبا لماذا تقف ؟

ـ لأعرف عملى الذى انا ذاهب ياسيدتى

وددت لو انك ذهبت وعدت قبل ان اخبرك به . آه أيها الثبات . لنكن نصيرى . اقم جبلا شامخا بين فؤادى ولسانى ان لي عقل رجل ولكن ارادة امرأة ، ما أصعب كتمان السر على النساء . ألا تزال ههنا يا غلام ؟

— سيدتي: ماذا على أن افعل ؟ هل اجرى الى دار مجلس النواب ولا شيء ، وأعود اليك ولا شيء ؟

— نعم . احضر لى كلمة يا بنى اذا كان مولاك بخير فانه ذهب اليوم منحرف المزاج . ولاحظ جيدا ماذا يعمل قيصر وأى الناس يتزاحمون حوله من ذوى الحاجات . اصغ ياولدى أى صوت هذا ؟

— أنا لا اسمع شيئا ما يا سيدتى .

— أرجوك أن ترهف سمعك . سمعت صوتا كأنه صدى نزاع تحمله الريح من دار مجلس النواب

— حقا يا سيدى انى لا اسمع شيئا ما .

حتى اذا ادركا مكان العراف صاحت به : تعال هنا أيها الرجل . من أين جئت ؟

— قال جئت من منزلى أيتها السيدة الكريمة

— كم الساعة ؟

— نحو الساعة التاسعة أيتها السيدة المحترمة .

— ألم يذهب قيصر إلى دار مجلس النواب بعد ؟

— لم يذهب بعد يا سيدتى . سأنتظره حتى يمر فى طريقه الى المجلس .

— ألك حاجة لدى قيصر ؟

— نعم يا سيدتي . فلو أراد قيصر أن يكون بخير لسمع قولى

— لماذا ، أتعرف خطرا عليه ؟

— لا أعرف خطرا . . ولكن لشد ما أخشى عليه

الطوارىء . نهارك سعيد يا سيدتي .

— نهارك سعيد . وتركته فى حاله

قالت واها . واها . ما أضعف قلب المرأة أواه يابروتاس لتوفقك السماء . يقينا لقد سمعنى الغلام ، ان لبروتاس حاجة سوف لا يقضيها له قيصر . آه . أغمى على . إجريالوسياس ، بلغ مولاك تحيتى وقل له سيدتي بخير ، وعد الىّ على الفور ونبئنى ماذا يقول

— لبيك يا سيدتى

وعادت أدراجها وهي أسوأ ما تكون حالاه وأكسف بالا . وارتمت على مقعد فى دارها وما تكاد تنبعث فيها جارجة من فرط الذهول

الفصل الثالث

مقتل قيصر

ولما بلغ قيصر وحاشيته حيث وقف ارتيميدوراس

قال قيصر لقد . أقبل منتصف مارس فقال ذلك المنجم الذي رأيناه قيصر فى حفلة السباق فى عيد لوبركال وكان بين الجمع الذى اشرأبت أعناقه لرؤية قيصر الجليل : أجل يا قيصر ولكنه لم ينته .

وقال ارتميدوراس؟ أرجوك بكل احترام وخشوع يا قيصر العظيم أن تقرأ هذه القائمة .

وقال ديشياس لقيصر : ان تربيونياس ليرجوكم أن تتكرموا عليه بقراءة ملتمسة الوضيع هذا .

فقال ارتيميدوراس أيا قيصر اقرأ ورقتى أولا لانها ملتمس لشد ما يمس قيصر . اقرأها يا قيصر العظيم لانها هامة جدا.

فقال قيصر ان ما يتعلق بنا شخصيا ننظره أخيرا

قال لا تؤجلها يا قيصر اقرأها حالا .

ـ ماهذا ؟ أمعتوه هذا الرجل؟

فقال كاسياس الداهية عجبا أتلحف فى طلبك على قارعة الطريق ؟

تعال الى المجلس يا هذا ينظر قيصر العظيم في أمرك

وما أتمها حتي بلغوا دار مجلس النواب فصعد اليه قيصر وفى اثره المتامرون

وقال بوبيلياس البرىء وكان حاضرا فى الجمع اللئيم كاسياس اود لو تنجح مهمتك اليوم .

قال اية مهمة يا صاح ؟

قال الى الملتقي ودنا من قيصر

فقال بروتاس لصاحبه اذلاحظ ذلك ماذا قال لك بوبلياس لينا

قال يود لو تنجح مهمتنا اليوم. أخشى أن يكون سرنا قد ذاع.

انظر كيف يدنو من قيصر . راقبه .

أسرع يا كاسكا لأنا نخشى أن يكون سرنا قد ذاع .ماذا أنت صانع يابروتاس اذا افتضح الامر؟ اذا كان ذلك فاما قيصر واما كاسياس لا تطلع عليه الشمس . اني أذبح نفسى :

— الثبات الثبات يا كاسياس . ان بوبيلياس لينا لا يعني

مهمتنا انظر اليه تره مبتسما وقيصر لا يتغير وجهه

- تريبونياس عارف دوره . انظر يا بروتاس تره يبعد مارك انطونى صديق قيصر الحميم من الطريق .

وقال ديشياس أحد المتامرين أين متالاس سمبر ، دعه يتقدم الى قيصر بطلبه فوراً

فقال بروتاس انه ليفعل ذلك تزاحموا عن كثب وساعدوه وقال غادر منهم يقال له سينا أنت أول من برفع يده يا كاسكا . واذا بقيصر يقول بعظمته المعهودة أنحن مستعدون جميعا أي شيء فيه خطأ ينبغى أن يصلحه قيصر ومجلسه الا ن ؟

فقال متالاس : ياأعظم العظماء وأقوى الأقوياء وأنبل النبلاء ياقيصر ان متالاس سمبر ليلقى أمام عرشك قلباوضيعا وجثا امامه .

قال لا بد أن امنعك ياسمبر . إن هذه التملقات الدنيئه والسجدات السافله تستفز طغام الناس وزعماءهم وتحيل الا وامر العليا المبرمة الى مشيئة صبيانية وأهوية أطفال . لا يبلغن منك الحمق والتغفل هذا المبلغ فتزعمن أن قيصر يجرى فى عروقه مثل ذلك الدم الحائر المتردد الذى سرعان مايذوب ويتحول عن

جوهره بتأثير تلك السخائف التي تخلب الباب الحمقي الأغرار تلك الالفاظ الحلوة الناعمة المتملقة والسجدات السافلة وزلفى الكلاب الدنيئة والتذلل والمسكنه . اعلم أن أخاك نفي بامر عال فمهما سجدت وتوسلت وتملقت في سبيل الافراج عنه فلا يسعنى الا أن أطردك طرد الكلاب . اعلم ان قيصر لا يخطىء ولا يظلم ولا يقنع الا ببرهان فأتني ببرهانك إن كنت من الصادقين

قال ألا من صوت أجل من صوتى وأحلى نغمة فى اذن قيصر العظيم فيشفع لى لديه فى الأفراج عن شقيق البائس وأعادته من منفاه السحيق؟

فقال بروتاس أقبل راحتيك يا قيصر ولكن في غير تملق ورياء راجيا منك العفو عن المسكين يا بلياس سمبر وإطلاق حريته

قال قيصر ماهذا يا بروتاس

وقال كاسياس العفو يا قيصر العفو يا قيصر . ان كاسياس ليجثو ألى اسفل من مواطىء أقدامك راجيا إطلاق سراح يا بلياس سمبر المسكين .

قال قد يكون لى أن اهتز اذا كنت متملك . اذا كان من ديدني أن أستعطف واسترحم فان المتوسلين ليؤثرون على . .

ولكننى ثابت ثبات نجمة القطب التى لا نظير لسوخها فى نجوم السماء جميعا . ان السموات لتتألق بنجوم ثواقب يخطئها الحصر وكل نجمة منها نارية الجوهر متلألئة ولكن ليس ثمة سوي واحدة بين ذلك الجمع الحافل من الدرارى (١) ثابتة مكانها لا تتزعزع . وهذا مثل الدنيا فهي ملأى بالرجال والرجال لحم ودم ولهم عقل وودراك ولكن لا يوجد فى هذا العالم الا رجل واحد فذ لا يتزعزع ولا تثنى المؤثرات له عنانا هأنذا . دعوني آت ببرهان يسير حتى فيما أنا قائل انني كنت ثابتا اذ أمرت بنفي سمبر ولا أزال ثابتا فى أن لا بد أن يظل فى منفاه سجينا

وقال سينا أيا قيصر . . وما كاد يتم كلمته حتى قال له بعدا بعدا أتستطيع أن ترفع الجبل الشامخ اوليمپاس ؟

وقال ديشياس أيا قيصر العظيم . فقاطعه قائلا ألم يسجد لى بروتاس عبثا؟

فقال كاسكا . تكلمى يا يدى عنى وطعنه طعنة نجلاء فى جنبه وانهال عليه باقى المتا مرين بطعناتهم وآخرهم بروتاس فلما رآه قيصر يقترف جريرته قال وهو يقاسى النزع : وأنت يا

---

(١) النجوم الثواقب

« بروت» . . . ! اذن فاسقط ياقيصر وفاضت روحه وهوى على الارض قتيلا

فنادى سينا الحرية : الحرية : مات الظلم : اجروا وأعلنوا ذلك وصيحوا فى الشوارع

كاسياس — ليرق بعضكم المنابر وليناد الحرية والأخاء والمساواة !

بروتاس ـ أيها السادة. أيها النواب . لا تضطربوا، لا تفروا مذعورين قفوا هادئين أن دين الطمع دفع .

كاسكا ـ تسنم المنبر يا بروتاس

ديشياس ـ وكاسياس ايضا

بروتاس . أين بابلياس ؟

سينا هنا . انه مضطرب من هذه الجريمة

متالاس ـ انضموا بعضكم لبعض واثبتوا وتجلدوا لئلا يفاجئنا مفاجيء من أنصار قيصر .

بروتاس ـ لا تقل ذلك . . . يا بابلياس لينطلق وجهك أنت غير مقصود بسوء ولا أى روماني آخر أعلمهم بذلك يا بابلياس .

كاسياس ـ غادرنا يا بابلياس لئلا يعنت شيخوختك الزحام

بروتاس ـ افعل ذلك ولا يتحملن أحد تبعة هـذا العمل سوى فاعليه .

كاسياس ـ اين انطوني ؟

تريبونياس ـ فر الى داره وجلا مذعورا . الناس يركضون ويضطربون كأنما قامت القيامة .

بروتاس ـ أيتها الاقدار ! اننا لنعرف رغائبك ، نعرف أننا سنموت ، وما هو الا الوقت وتأجيل ساعة الرجل الذي يهتم به الخلق جميعا .

كاسياس ـ علام ! ان الذى يقطع من العمر عشرين حولا ليقضى أعواما عدة فى هيبة الموت .

بروتاس ـ اذا صح ذلك فان الموت لغنم ، وأنا اذن لاصدقاء قيصر اذ اختصرنا زمان خوفه من الحمام . انحنوا أيها الرومان انحنوا واغسلوا ايديكم بدم قيصر وخضبوا به سيوفكم ثم سيروا الى السوق ولوحوا بسلاحكم منادين الأمان ! الحرية ! المساواة !

كاسياس ـ انحنوا واغتسلوا . كم من أجيال ستمر بمثل

فيها هذا الدور الراقى فى ممالك لم تخلق و بلغات لم تعرف بعد

بروتاس ـ كم من مرة سيدمي قيصر على المسرح وهو الآن مطّرح على الغبراء فى رهبة « بومبى » لايساوى اكثر من التراب ! !

كاسياس ـ وستذكر عصابتنا بقدر هذه المرات ، تلك العصابة التى منحت بلادها الحرية .

ديشياس ـ ماذا ؟ هل نسير ؟

كاسياس ـ نعم كلنا نسير . سيتولى بروتاس القيادة ونحن نتشرف بأن نتبعه بقلوب بواسل . واذا بخادم قد دخل عليهم فقال بورتاس من القادم ، صديق لأنطوانى ؟ . .

قال ـ هكذا يابروتاس أمرني سيدى أن أسجد لك امرني مارك انطونى أن اخضع قائلا : بروتاس شريف حكيم عظيم مخلص . انطونى أحب بروتاس وأجله وخشى قيصر وأجله وأحبه . اذا سمح بروتاس بمقابلة انطونى له سالما ليقنع لماذا استحق قيصر أن يهجع فى ظلمات الموت فأن مارك انطوني سوف لايحب قيصر ميتا أكثر من ان يحب بروتاس حيا . بل سيتبع مايرسمه له بروتاس الشريف مهما يكن غموض عواقب تلك

الحال الثائرة . هكذا يقول سيدى انطوني

فقال له بروتاس ان سيدك لرومانى حكيم شجاع نبّئه اذا أراد فليحضر فيقتنع ويمينا بشرفى أن لا يمس بسوء . قال سأحضره وذهب الى سبيله

بروتاس . اعرف أننا سنحتفظ به صديقا صالحا

كاسياس — وددت لو أمكن ذلك . ولكن عقلي يملى على أن تتخوفه كثيرا وأن شبهاتى لتصيب المرمى دائما

واذا بأنطونى قد دخل عليهم فقال بروتاس ها هو ذا انطونى . مرحبا بك يامارك انطونى . .

قال آه يا قيصر العظيم ! أراقد أنت هذه الرقدة السافلة هل جميع فتوحاتك وانتصاراتك وغنائمك وعظماتك انكمشت فى هذا الحيز الضيق . .الوادع لاأعلم أيها الرجال المهذبون ماذا تريدون ومن سيسفك دمه كقيصر فاذا كنت ممن تضمرون لهم السوء فلم أجد ساعة أشرف لحينى من تلك التى وقع فيها قيصر صريعا ولا بسلاح اعز من نصالكم التى اكسبها مجدا وشرفها أزكي دم فى العالم . أني لأرجوكم اذا كنتم تحملون لي الضغن أن تنفذوا مشيئتكم فى هذه اللحظة

وأيديكم بالدماء تشتعل اشتعالا فانى اذا عشت ألف عام. فلن أجد مكانا ولا زمانا ولا أداة للردى أشرف من ههنا بجوار قيصر وبأيدى الأولى حطموا درة هذا العصر اليتيمة وقطعوا سيد زمانه تقطيعا .

فقال له بروتاس آه يا أنطوني . لا ترج هلاكك منا فاذا ظهرنا حيالك الآن بمظهر السفاحين بآية تلك الأيادى الملوثة بالدماء فلا تنظرن الي ايدينا والى هذا العمل الدموى الذى ادته فحسب بل تطلعن الى قلوبنا تجدها مفعمة شفقة وحنانا للصالح العام ولمنفعة روما وكما أن الجمر يطرد الجمر كذلك الرفق يطرد الرفق . ذلكم سر قتلنا قيصر . . . أما أنت فلا خوف عليك ولا أنت تحزن فسيوفنا قبلك ذات ظباة غير قاطعات كأنهن قددن من الرصاص فلتطمئن يا مارك أنطونى فأن سواعدنا التى غلظت بعيد غضبتنا على قيصر وقلوبنا التى تغيرت عليه وان كانت لاتزال لك مخلصة تستقبلك بفرط الاكرام والمودة والاجلال .

وقال الداهية كاسياس قد يكون لصوتك الرفيع شأن عظيم فى تقرير المصير . وقال بروتاس ما عليك الا أن تنظرنا ريثما نهدىء خواطر الجمهور المضطرب ثم نقنعك الاقتناع كله

فأنى اذ طعنت قيصر أحببته حبا جما وكنت له من المخلصين.

قال لا تخالجني ريبة فى حكمتكم جميعا . وتعالوا نتصافح هاتوا أياديكم الدموية . هات يدك أولا يا ماركاس بروتاس . ثم كاياس كاسياس هات يدك ثم ديشياس بروتاس هات يدك هات يدك يا متالاس ، هات يدك يا سينا. هات يدك يا تربيونا س ويا كاسكا الشجاع وان كنت آخرهم فلست أقلهم ودا .أيها السادة وا أسفاه ماذا أقول ؟ أحسب أن ثقتكم بي أصبحت على شفا جرف هار فقد تزعمون أني أحد رجلين إما جبان وإما ختال أما حبي لك يا قيصر فهو طبعي فاذا أطلت علينا روحك الان من سماء عظمتها افلا تأسى عليك أشد من موتك إذ ترى صديقك الحميم أنطونياس يصافح أعداءك المخضبة أيديهم بدمائك بين يدي حشتك يأيها المتناهى فى الرفعة ؟؟ فلو أن لى عيونا بعدد ما بك من الطعان تسيل دمعا مدرارا كما تندفق الدماء من جراحك لكان ذلك بي أحق من أن أمد يدى مصافحا خصومك وقتلتك . عفواً عفواً يا يوليوس . ههنا اعتقلت أيها الغزال . ههنا هويت .ههنا وقف صيادوك وعليهم شعائر دمك الحمراء ويحك أيتها الدنيا لقد كنت غاب هذا الغزال وكان

لك يا أيتها الدنيا فؤادا . ما أشبهك يا قيصر فى رقدتك هذه بغزال طارده كثير من الامراء حتى أوقعوه فى الحبائل

فقال له كاسياس يا مارك انطوني . . . . فقاطعه قائلا معذرة ياكاياس كاسياس . ان اعداء قيصر ليقولون ذلك فكيف بأصدقائه إن هوالا رثاء فاتر منهم . قال أنا لاألومك على امتداح قيصر ولكن اسألك كيف تريد أن تكون العلائق بيننا وبينك وأى عهد تريد أن تعاهدنا عليه أنسجل اسمك مع أصدقائنا أو نمضى فى شأننا ولا نعتمد عليك

— لذلك صافحت أيديكم ولكن معذرة فقد جمح فكرى اذ رأيت قيصر مطرحا على الرغام . اني معكم يداً بيد على شريطة أن تقنعونى بالبواعث التى حملتكم على أن تذيفوا قيصر كأس الحمام . فأخذ هذا القول من بروتاس مأخذاً عظيما وأثر على نفسه تأثيراً عميقا نم عنه وجهه كما تنم وجوه الأحرار عن ضمائرهم وقال له . وإلا فان هذا المشهد وحشى . ان الدواعى لدينا ملأى حقائق حتى لو أنك ياأنطونى نجل قيصر لاقتنعت اقتناعا .

تلك كل أمنيتى . وفضلا عنها أرجو كم أيها الأفاضل أن

تأذنوا لى بنقل رفاته الى السوق وبأن أرقى المنبر بصفتى صديقا له وأؤبنه بكلمة إن كنتم تسمحون .

قال بروتاس لك سؤلك يامارك انطونى .فامتعض اللئيم كاسياس وهمس فى أذن صاحبه قائلا يابروتاس انت لاتعرف ماذا أنت فاعل لاتوافق على تأبين انطونياس له الا تدرى كيف يستطيع ان يثير الجمهور بتأبينه ؟

عفواً سأرقى المنبر أولا وابين الأسباب التى حملتنا على قتل قيصر واقرر ان انطونى سيلقى كلمة تحت امرنا وإنا لمغتبطون بأن يحتفل بتأبين قيصر احتفالا لائقابه . فان فى ذلك لنفعا لنا ان كنتم تعلمون .

قال كاسياس انى لااعرف ماذا سيحدث ولكنى لااريد ذلك. قال هاك جثة قيصر يامارك انطونى ، لاتقدح فى حقنا ، ولك ان تمدح قيصر ماشئت وتخبر القوم انك تؤبنه تحت امرنا وإلا فلن تكون لك الحظوة بتأبينه ودفنه. وستخطب القوم بعدى على نفس المنبر الذى اقوم أنا عليه خطيبا.

— ليكن ماشئت فأنى لا أريد مزيدا

— اذن فخذ الجثة واتبعنا

— نعم . وخرجوا ماعدا انطونى فقد وقف على رفات قيصر يبكيها بكاء مراً وينتحب عليها انتحاباً مؤلماً يذيب الجلمود ويلاشى الحديد ويقول : اعذرينى أيتها القطعة الدامية من الرغام اذا كنت لينا سهل العريكة مع اولئك السفاحين، أنت آثار أشرف رجل عاش فى مدى الدهر ، تبا لتلك الايادى الاثيمة التي سفكت هذا الدم الزكي الغالى ، أقضى الان متكلما فوق جراحك وكأنما هى أفواه بكم تفتح شفاهها المرجانية كأنها تعالج حديثا اذ تسمع صوتى، ستهبطن اللعنات على رؤوس الناس وتستعر حرب ضروس وتحل بلايا جمة ورزايا شداد فى جميع انحاء ايطاليا وان الدم والفناء سيكونان من عاديات الامور حتى ان الامهات الرحيمات لايسعهن الا ان يبتسمن اذا ما رأين اطفالهن تمزقها أيدى الهيجاء شر ممزق وان معين الشفقة لينضب فى قلوب الناس لطول عهدهم بالعنف والقسوة ، وان روح قيصر لتحلق فى الجو يصحبها عزرائيل الموت مقبلا من الجحيم مناديا بالويل والثبور وإطلاق عنان الدمار وإثارة كوامن الوغى حتي لتنبعث رائحة تلك الجريمة الشنعاء الدموية فى الأفق وتمتزج بنتن الرفات الفانية.

وانه لكذلك يكاد يذوب أسى ولوعة إذ دخل عليه خادم فقال له : أتحترم اوكتافياس قيصر ؟ قال نعم قال : — قيصر كتب له يستدعيه الى روما .

— انه قد تسلم كتابه وهو مقبل وقد أمرنى ان أقول لك كلمة فما لنعم..وما كاد يقع نظره على جثة قيصر حتى اضطرب وصاح

آه يا قيصر . . . .

— لقد أفعم فؤادك حزنا . تنح عني قليلا فأن العواطف لتعدى وها هى ذى مقلتى تدمع اذ رأت الدموع تترقرق فى عينيك . أمقبل سيدك يا غلام ؟

— سيبيت الليلة على بعد سبعة فراسخ من روما

— عد اليه باقصى عجلتك ونبئه بما حدث . قل له هنا روما الحزينه الآسفة اللابسة ثوب الحداد . روما الخطرة لا روما المطمئنة ذات الهدو والسلام لابنها اوكتافياس .أسرع. أسرع . . ولكن انتظر قليلا . لن تعود اليه حتي أقل جثة قيصر الى السوق وهناك سأستفز غضب الجمهور ليثأر لهذه المأساة المفجعة الخطيرة ثم تذهب فتصف لأوكتافياس

ما حدث على مرأي ومسمع منك . أعرنى يدك . فتساندا على حمل الجثة وخرجا بها الى المكان العام :

ولما خرج بروتاس وكاسياس وأعوانه من الخونة المتآمرين الذين صرعوا قيصر مصرع الخيانة والغدر حتى تألب وراءهم جمع حاشد من الخلق وهم صاخبون أنا لنريد أن نقتنع . أقنعونا فقال لهم بروتاس اذن فاتبعونى واستمعوا لى ايها الاصدقاء .

وأنت يا كاسياس اذهب فى الشارع الاخر وقسم الجماهير اولئك الذين يريدون أن يسمعوا خطابي فليلبثوا ههنا والذين يميلون الى سماع كلام كاسياس فليذهبوا معه . وإنا سنبين لكم الدواعى الوطنية التى حملتنا على هذا العمل . فقال قائل منهم سأسمع خطاب بروتاس وقال آخر سأستمع لكاسياس وعلينا أن نقارن كلامهما وخرج كاسياس ومعه كثير من الخلق وارتقى بروتاس ذروة المنبر وحوله كثير من الجماهير قد نال منهم القلق وغلب عليهم الاضطراب . وقال قائل منهم لقد رقى بروتاس الشريف المنبر سكوتا : فقال صبرا للنهابة . . . أيها الرومان . ايها الوطنيون أيها المحبون : استمعوا لما لدى من البواعث ، وكونوا

هادئين ، حتى يمكنكم أن تصدقونى لشرفى ، واجعلوا عندكم احتراما لشرفى ، حتى يمكنكم أن تصدقونى ، احكموا على بحكمتكم وأيقظوا حواسكم لعلكم تعدلون فى الحكم ، اذا كان فى هذا الجمع الحافل صديق مخلص لقيصر فلهذا الصديق أقول ان حب بروتاس لقيصر لم يكن قط دون حبه له ، فاذا سأل هذا الخليل لماذا قام بروتاس على قيصر فهذا جوابي : لا لأنى أحببت قيصر أقل منه بل لانى أحببت روما اكثر . هل كنتم تؤثرون أن يحيا قيصر وتهلكوا جميعا عبيدا أذلاء على ان يهلك قيصر لتعيشوا أحرارا كراما ؟ احبنى قيصر فبكيته وحزنت عليه وكان موفقا فاغتبطت بنجاحه وفوزه وكان شجاعا مقداما فأجللته واكبرته ولكنه كان طماعا فقتلته . إن ثمة لمحبة وغبطة لتوفيقه وإجلالا واكبارا لشجاعته وإقدامه وهلاكا لطمعه : أيكم دنىء ودنيء جدا حتى ليرتضى ان يعيش عبدا ذليلا ؟ اذا كان هنا فليتكلم لأنه هو الذى اسأت اليه . من هنا فى هذا الجمع الحافل همجي جداً حتى لا يريد أن يكون رومانيا ؟ اذا كان هنا فلينطق فأنه هو الذى اسأت اليه . من هنا سافل جدا حتى لا يحب وطنه ؟

اذا كان هنا فليتكلم فأنه هو الذى اسأت اليه . اسكت قليلا لأسمع جوابا

فقالوا جميعا لا أحد يا بروتاس، لا أحد.

— اذن فلم اسىء الى احد . لم أعمل لقيصر اكثر مما كنتم تعملون لبروتاس اذا كان مثله . لقد سجلنا بواعث هذا الحادث فى دار الحكومة ولم تنقص مفاخره ، ولقد ذكرنا حسناته كاملة غير منقوصة ولم نبالغ ادنى مبالغة فى سيئاته التى استحق عليها الموت الزؤام . . . وإذا بمارك انطونى قد حضر ومعه رفاق قيصر وحوله بعض من الجمهور فاستأنف بروتاس كلامه قائلا : هاهي ذى جثته يندبها مارك انطونى الذى — وان لم تكن له يد فى هلاكه — سيجنى فائدة من موته، سيأخذ نصيبه من الصالح العام ككل فرد منكم. وأختم قولى بهذه الكلمة : بما اني ذبحت خير صديق لى لصالح روما فان لدى النصل عينه لنفسى عندما ترى امتي أن تقتلني فى سبيل روما . . . . .

فصاح الجميع فليحى بروتاس . فليحى فليحى .

وقال قائل منهم احملوه الى منزله متوجا بالنصر

وقال آخر اقيموا له تمثالا كأسلافه العظام

وقال ثالث - اجعلوه قيصر (١)

وقال رابع - ان فضائل قيصر ستتوج فى بروتاس

- سنحمله الى داره بالهتاف والتهليل

بروتاس - أيها الوطنيون الصالحون . دعونى أفاركم وحيدا واذا كنتم تحترمونني حقا فالبثوا ههنا حتي تستمعوا لمارك انطوني احترموا جثة قيصر واحترموا خطابة انطونى التى سيمتدح بها حسنات قيصر تحت أمرنا ، أرجوكم ألا تبرحوا هذا المكان حتي يتم انطونى كلامه . ثم نزل بروتاس من على المنبر ومضى الى سبيله بين الهتاف والتهليل والتصفيق الحاد

---

(١) انظر الى سخافة الجماهير وكيف تقبل عقولها المتناقضات وكيف اثر عليهم بروتاس حتى لقد استحسنوا له ما استهجنوه من قيصر وسيعود انطونى فيؤثر عليهم اشد تأثر ويغلبهم على أمرهم حتى يثوروا على بروتاس وانصاره وهكذا شأن الجماهير فى كل عصر وفى كل زمان ومكان قلب الفكر حول الرأى

ثم تسنم مارك انطونى ذروة المنبر وانشأ يقول : من اجل بروتاس اثني عليكم فامتعض القوم وقال احدهم ماذا يقول عن بروتاس ،

- يقول انه لاجل بروتاس ثبنى علينا جميعاً .
- خير له الا يذكر بروتاس بسوء ههنا .
- لقد كان قيصر جبارا
- يقينا لقد سعدت روما اذ تخلصت من نيره
- صه . صه . دعونا نسمع ما يمكن ان يقوله انطونى .

فقال انطونى : ايها الرومان الصالحون . .

- صه . صه . دعونا نسمع . . .

قال - ايها الاصدقاء ، أيها الرومان ، أيها المواطنون ، اعيرونى مسامعكم ما جئت الا لادفن لالامتدحه ، فان الشر الذى يرتكبه الناس يخلد بعدهم واما الخير فيوارى الثرى مع عظامهم ابداً ، فليكن ذلك شأن قيصر اليوم ، اخبركم بروتاس الشريف ان قيصر كان طماعا فاذا صح ذلك فيالها من خطيئة خطيرة وياله من جزاء قاس استحقه قيصر فرقد فى ظلمات الموت . ما جئت ههنا الا باذن بروتاس والآخرين ، لان بروتاس رجل

شريف وكذلك هم جميعا رجال اشراف ، لأرثى قيصر. لقد كان صديقا لى وفيا عادلا ولكن بروتاس يقول إنه كان طماعا وبروتاس رجل شريف .

لقد جاء بالاسرى الى روما فأفعمت خزانتها العامة بالاموال التى دفعوها فدي ، فهل كان ذلك طمعا فى قيصر ؟ كلما صاح الفقير بكي قيصر ، والطمع ينبغى أن يقد من مادة أقسي ، على أن بروتاس يقول إنه كان طماعا وبروتاس رجل شريف ، لقد رأيتم جميعكم أنى قدمت اليه فى عيد «لوبركال» تاج الملك ثلاثا فرفضه ثلاثا ، فهل كان ذلك طمعا ؟ على أن بروتاس يقول انه كان طماعا ويقينا هو رجل شريف ، إني لن أحاول أن أدحض ما قاله بروتاس ولكني اقول ما أعرفه، أنا واثق منه لقد كنتم تحبونه جميعا ، وطبعا أحببتموه لدواع . . فأى داع اذن يحملكم اليوم على عدم البكاء عليه ؟ ويحك أيها العقل لقد فررت الى الوحوش الضواري فقد الرجال عقولهم ! اعذروني أيها السادة فان فؤادى لفي النعش هناك مع قيصر ، ولا أجد بدا من الانتظار ريثما يعود الى . . .

فتأثر القوم وقال قائل منهم ـ اظن ان كلامه معقول جدا

وقال آخر — اذا تدبرتم الأمر بعقل وحكمة علمتم أن قيصر ظلم

— هـذا صحيح ايها الساده ؟ أخشي أن يخلفه شر منه

— هل لاحظتم كلامه ؟ انه لم يقبل التاج . اذن من المحقق أنه لم يكن طماعا .

— اذا كان الأمر كذلك فلا بد من معاقبة الجناة .

— واهالك يا أيتها النفس المسكينه ! ان عيونه حمراء كالجمر من فرط البكاء

— ليس فى روما أشرف من انطوني

انطونى — أنصتوا (١) . . . .

— أصغوا اليه الآن فسيستأنف .كلامه

وبعـد أن رأى هذا التأثير الذى اثره فيهم كلامه عاد فقال : بالأمس الدابر كانت كلمة قيصر تقف فى وجه العالم بأسره والآن ها هو ذا مطرح هنـاك ولا ينزل (٢) أحـد

---

(١) اصغوا (٢) يقال نزل عن الأمر ولا يقال تنازل لان التنازل لا يكون إلا بين اثنين أو اكثر ومعناه التقاتل. يقال تنازل الخصمان إذا تقاتلا .

فيبدى له أدنى احترام . ، آه ايها السادة اذا كنت أرمى الى إثارة أفئدتكم وعقولكم ، وحضكم على الثورة والاضطراب ، فانى لأسيء الى بروتاس وأسيء الى كاسياس اللذين هما ، كما تعلمون جميعكم ، رجلان شريفان . إني لا اريد أن أسيء اليهما ، إنى لأوثر أن أسيء الى الشهيد وإلى نفسى واليكم على أن أسيء الي امثال هذين الرجلين الشريفين هذى وثيقة فى يدى وجدتها فى غرفة قيصر مذيلة بامضائه ، اذا سمع الاهالى وصيته - ولا داعى لقراءتها واعذرونى فى ذلك ايها السادة - فلا يسعهم الا أن يهرعو ويقبلوا جراح قيصر الشهيد ويغمسوا ثيابهم فى دمه الزكى المقدس ويودوا لو فازوا بشعرة واحدة منه تذكارا ثمينا ، حتى اذا قضوا نحبهم أثبتوها فى وصاياهم كأثمن الأرث واجله . . .

فقال قائل - نريد أن نسمع الوصية . اقرأها يامارك انطونى ، وصاح الجميع - الوصية . الوصية نريد ان نسمع وصية قيصر .

انطوني - صبرا أيها الاصدقاء الصالحون يجب على ان لااقرأها . فلا يليق الآن ان تدركوا مبلغ حب قيصر لكم ،

لستم خشبا ، لستم صخورا بل انتم رجال ذوو شعور، واذ كنتم رجالا ذوى شعور ، فان وصية قيصر اذا سمعتموها تضرم كم نارا وتذهب بأحلامكم فيحسن أن لا تعرفوا انكم ورثته ، فلئن عرفتم .فياللالهة ماذا عسى أن يحدث من جرائها ! !

فتحمس القوم واشتعلوا حمية وقال قائل منهم لتقرأ الوصية ، إنا لنريد سماعها يا انطونى . نرجوك أن تقرأ لنا الوصية وصية قيصر

قال أتصبرون ، أنهدؤون مليا ؟ لقد خرجت عن الموضوع وطاش سهمى اذ نبأتكم عنها . أخشى أن أسيء الى الرجال الأشراف الذين طعنوا قيصر بخناجرهم .

فقال قائل لقد كانو خونه . لا تقل رجالا أشرافا .

وصاح الجميع بذاهب الصبر — الوصية . الوصية

— لقد كانوا سفاحين مجرمين . الوصية . اقرأ الوصية

فقال الخطيب البليغ انطوني أتلزمونى أن أقرأ لكم الوصية؟ اذن فالتفوا حول رفات قيصر لأريكم الذى عمل الوصية اتسمحون لى بالنزول ؟

— انزل . انزل

— لك الاذن . فنزل من على المنبر

— اعملوا دائرة . قفوا على شكل دائرة

— ابتعدوا عن الجثة

— أفسحوا الأنطونى . انطونى المتناهى فى الرفعة والشرف

فقال انطوني لا تضغطوا على هكذا . ابتعدوا .

— ابتعدوا . أفسحوا . ابتعدوا . . . . فقال انطونى

— اذا كان لديكم دموع فاستعدوا لسكبها هنا.

كلكم يعرف هذا القباء (١) أذكر اول يوم لبسه قيصر فى خيمته مساء ذلك اليوم الذى هزم فيه أعداءه « الزمنين » انظروا هنا نفذ خنجر كاسياس ، انظروا أية ثغرة ثغرها ثلمها كاسكا الحقود ، وهنا طعن بروتاس المحبوب واذ انتزع سلاحه المشؤوم انظروا كيف جرى وراءه دم قيصر مندفعا خارج الباب ليتحقق اذا كان بروتاس هو الذي قرعه بهذا العنف أو غيره ، لان بروتاس كما تعلمون كان ملاك قيصر الرحيم ، احكمي أنت يا أيتها الالهة . ما كان أشد حب قيصر له يمينا ان هذه الطعنة النجلاء لأقسى جميع الطعنات ، لأن

(١) العباءة

قيصر الشريف لما رآه يطعن هزمه نكران الجميل وهو أقسى من سواعد الخونة فانفجر فؤاده الكبير وخبأ وجهه فى قبائه تحت تمثال بومبي وسال دمه الزكيّ الطاهر ولا زال يسيل ، وهكذا هوى قيصر العظيم .....

واقسوتاه أية سقطة هذه ايها المواطنون؟ اذن فأنا وأنتم سقطنا فى حين أن تغلب علينا الظلم والاستبداد. واقسوتاه أراكم تبكون وتستفزكم مشاعر الرحمة وعواطف الشفقة والحنان، إن هى الاعبرات عظمة وأجلال، وارحمتاه أيتها النفوس الطيبه أتبكون ولم تروا الا رداء قيصر مجروحا؟ ألا فانظروا ههنا هاهوذا قيصر نفسه شوهته أيادى الخونة الجناة كما ترون ..

فثار ثائر القوم واستفزهم الغضب والحقد على اولئك المتآمرين السفاحين وقال قائل واقسوتاه . ما ابشع هذا المنظر

- واقسوتاه أيها اليوم العصيب

- ويل لكم ايها الخونة المجرمون

- واقسوتاه أيها المشهد المتناهى فى الوحشية

- سننتقم

وصاح الجميع — الانتقام اهلموا ! ابحثوا أحرقوا النار .

النار أقتلوا . اذبحوا . لا تدعوا متآمر آخائنا على قيد الحياة

انطونى ـ رويدا . رويدا أيها المواطنون . . . .

ـ صه . صه . اسمعوا انطونى الشريف.

ـ نريد ان نسمعه ، نريد ان نتبعه ، نريد ان نموت فى سبيله .

انطوني ـ ايها الاصدقاء الصالحون ، أيها الاصدقاء المخلصون ، لا تدعونى اثير بحر عواطفكم لدرجة الطغيان الفجائى ، اولئك الذين ارتكبوا هذا الجرم أشراف ، ولكن وا أسفاه . انى لا أعرف الاحقاد الخفية التي حملتهم على ذلك. انهم حكماء واشراف وهم لا ريب قادرون على إقناعكم بالدليل والبرهان ، ماجئت ايها الاخوان لاسلبكم قلوبكم ، لست خطيبا مثل بروتاس ، بل انا رجل ساذج بسيط كما تعرفوننى احلص لصديقي ، ويعلم الذين اذنوا لي ان اقول كلمتى انى لا املك حذقا ولا عبقرية ، ولا بيانا ولا وجاهة ، ولا اسلوبا ولا فصاحة ، حتى اثير بها دم الرجال ، ما أنا الا قائل ما يحضرنى من القول عفواً ، وما أنا الا مخبركم بما انتم عارفوه جميعا ؟ ومريكم طعان قيصر العظيم ، تلكم الافواه الخرساء

المسكينة ، فاطلبوا اليها ان تحدثكم عن صاحبها بالنيابة عنى ، فقد أعيانى المنطق ، وقعدبي البيان ، فلو كنت بروتاس ،وكان بروتاس انطونى . لكان انطونى ههنا قادراً على إثارة حفائظ نفوسكم ، ولأمكنه ان يجعل في كل جرح من جراح قيصر مقولا بليغا ، بل لكان قادرا على أن يستفز صخور روما وجلاميدها للهياج والاضطراب . . . . .

فثارت ثائرة القوم وهاجوا وصاحوا غضابا إنا لثائرون .

لنحرق منزل بروتاس الخائن

هلموا . احضروا . ابحثو عن المتآمرين السفاحين .

فقال انطوني ماهذا الهرج والغضب أيها الاصدقاء ؟ انكم لتعملون مالا تعرفون عواقبه ، كيف استحق قيصر محبتكم ؟ واأسفاه . انكم لاتعلمون ، يجب علىّ أو أقول لكم اذن انكم نسيتم الوصية . . . .

فنادى الجمع الحافل بأعلى صوته حقا . الوصية الوصية دعونا ننتظر ههنا حتي نسمع وصية قيصر

فقال انطونى وقد أبرز الوصية من جيبه ؟ هذه وصية قيصر مذيله بامضائه ، أتدرون بماذا يوصى ؟ إنه يوصى لكل

واحد من الشعب الرومانى ، لكل واحد فرد ، بخمسة وسبعين دراخمة (١) . . . .

ـ وارحمتاه ياأشرف الاشراف ياقيصر .

فى ذمة الله أيها الشهيد العظيم :

ـ سننتقم لقيصر : الانتقام الانتقام !

ـ وارحمتاه ياقيصر . ياملكيّ .

فقال انطونى بعد أن شاهد تأثرهم العميق . اصبروا واستمعوا الى . . . .

ـ اصغوا اصغوا . . . . .

فاستأنف كلامه قائلا : وفضلا عن ذلك قد ترك لكم جميع حدائقه الغناء ومتنزهاته الفيحاء وبساتينه المثمرة بكل أنواع الفاكهة مما لذ وطاب على هذا الشاطىء من نهر « تيبر » لقد تركها لكم ولورثتكم الى الابد لتتريضوا فيها وتروحوا عن أنفسكم ، ههنا كان قيصر ، فليت شعري متى يجود الزمن بقيصر مثله ؟ . . . فصاح الجمهور

---

(١) قيمة الدراخمه الرومانية فرنك تقريبا

ـ ابدا. ابدا. اخرجوا اخرجوا. سنحرق (١) رفاته فى المكان المقدس وبالشاعل تحرق منازل الخونة المتآمرين. احملوا الجثة..

— اذهبوا وأحضروا النار

— أخلعوا الموائد والمناضد

— اخلعوا النوافذ وماشا كلها

— أخلعوا أى شىء

وخرجت الجماهير عضبى حاقدة على الخونة المتآمرين حاملة جثة قيصر على الاعناق ليحرقوها فى المكان المقدس كما قر قرارهم ولبث انطونى فى مكانه يقول : الآن فلتثر الثائرة أيها الخطب أنك لعلى قدم وساق ، فاطلق لنفسك العنان أيما اطلاق ! وأذا بخادم قد دخل عليه فقال له كيف الحال الان ياهـذا ؟

— حضر اوكتافياس الى رما

— أين هو ؟

— هو وبسيداس فى منزل قيصر

— سأذهب فورا لمقابلته . لقد حضر فى الوقت المناسب

---

(١) ان احراق جثة الميت كانت عادة عند الرومان

اننا لسعداء به وسوف نستفيد منه فى هذا الظرف الحرج .

— سمعته يقول بروتاس وكاسياس فرا كالمجانين من أبواب روما

— ربما رأيا حماس الجماهير وكيف هجتهما ، دعنا نذهب الى اوكتافياس . وذهبا الى سبيلهما

* * *

رأى الشاعر سينا فى المنام ليلة قتل قيصر ، كانه عيد معه ، وضغطت الاخيلة المتطيرة على فكره ، ولم يكن يرغب فى التجوال خارج داره ، ولكن جاذبا جذبه فخرج وضرب فى السبل دون أن يعرف له مقصدا ، واذا بشرذمه من الجمهور الحانق قد اعترضت سبيله وقال له قائل ما اسمك ياهذا ؟ وقال آخر أين انت ذاهب ؟

- أين تقطن ؟

- أمتزوج أنت أم أعزب ؟

- جاوب كل واحد منا فورا ؟

- وبأيجاز

- وبعقل

ـ نعم وبصدق فذلك خير لك

فقال الشاعر المسكين ـ مااسمى . وأين أنا ذاهب؟وأين أقطن ؟

وهل أنا متزوج أم أعزب ؟ ثم اجيب كل واحدفورا وبايجاز وبعقل وبصدق . . ، بعقل أقول اني اعزب .

كأنك تقول ان المتزوجين مغفلون. اذن فعليك ضربة لى استمر حالا

ـ حالا ؟ انا ذاهب الى جنازة قيصر

ـ أصديق أنت أم عـدو ؟

ـ صديق .

ـ هذا السؤال اجيب فورا .

ـ وعن سكنك بالايجاز .

ـ بالايجاز اسكن بقرب دار الحكم

ـ مااسمك يا سيدي بصـدق ؟

ـ بصدق اسمى سينا

ـ اذن فمزقوه اربا اربا . انه احد المتآمرين الاثمين، فصاح المسكين انا سينا الشاعر . انا سينا الشاعر

ـ مزقوه لاجل أشعاره الرديئة

ـ لست سينا المتامر

ـ لا يهمنا . اسمه سينا فحسب ، ليس لكم إلا ان تنزعوا اسمه من قلبه وتطلقوه

ـ مزقوه مزقوه تعالوا أحضروا النار، هلموا الى بروتاس هلموا الى كاسياس ، أحرقوهما ، بعضنا يذهب الى ديشياس وبعضنا الى كاسكا وبعضنا الى ليجارياس . تعالوا تعالوا . . . . :

وخربوا فى هياجهم ليبحثوا عن المتآمرين السفاحين ويحرقوهم إحراقا ولكنهم لم يقتلوا الشاعر المسكين اذ وفقوا الي الاقتناع ببراءته . على أنهم آذوه بعض الايذاء واستهزأوا به فعاد الى عقرداره غضبان أسفا .

الفصل الرابع
(روح قيصر)

ما كاد يتم الشريف انطونى خطابه المؤثر حتى ذهب لمقابلة أوكتافياس ولبيداس حليفيه المخلصين له والصديقين الوفيين للشهيد العظيم قيصر شمس روما التى غربت وبدرها الذي اعتراه الافول وهناك فى بيت اوكتافياس جلس الثلاثة الانصار الى منضدة وقد أعدوا قائمة سوداء بأسماء الالى سيعدمون من أعوان اولئك المتآمرين السفاحين: وقال انطونياس لصاحبيه هؤلاء - يموتون . اساؤهم شكت .

فقال اوكتافياس - إن أخاك أيضا لا محالة هالك يا لبيداس أموافق انت ؟

- موافق

- اذن فشك اسمه يا انطونى

- على شريطة ان بابلياس لا يعيش يا مارك انطونى وهو ابن اختك

ـ سوف لا يعيش: انظر لقد وضعت امامه نقطة سودا ولكن اذهب انت يا لبيداس الى منزل قيصر وأحضر لنا الوصية ليرى هل يمكن تخفيض المبالغ الموصي بها .

وتلك سوأة من سوآت انطونياس لم يغتفرها له التاريخ ، إذ خفر ذمام صديقه قيصر فى بعض ما أوصى، وانه لجناح عظيم ان يخان عهد الميت ، لا سيما اذا كان من المخلصين.

فقال لبيداس وهل أجدكما ههنا ؟

ـ تجدنا هنا أو فى دار الحكم

ومضى لسبيله . وما كاد يخرج حتى قال انطونياس لصاحبه وهو يحاوره : هذا رجل وضيع لا قيمة له، يصلح للأموريات. أيليق ان يكون هذا الرجل الضئيل أحد الثلاثة الذين سيقتسمون العالم بما فيه من مجد وحول ؟

ـ هكذا رأيت يا أنطونى وأخذت رأيه فيمن يجب أن نعدمهم ونسجل اسماءهم فى قائمتنا السوداء فعلام تغتابه (١) ؟

ـ مرت على يا أوكتافياس ايام أكثر منك وقد رأيت ان

---

(١) تاخذه في غيبته بالذم

نمنح هذا الرجل الضعيف مزقة من الشرف تتقى بها مطاعن ألسنة المتقولين والمتشوقين والمشائين بالنميمة . على انه لا يحمل أعباء الشرف الا كما يحمل الحمار أثقالا من النضار (١) ينوء بها وينصب (٢) إما مسوقا وإما مقوداً كما نرى له فهو على الحالين مغلوب على امره ، ثم نفك عنه عبأة ونخليه يمرح كالحمار العاطل يهز آذانه ويرعى مع الهمل من السوائم

قال افعل ما بدا لك وإن ساءنى منك اغتياب الرجل ، على انه جندى صغير شجاع .

قال هكذا جوادى يا اوكتافياس ولذا أدخر له المؤونة ، انه لحيوان أعلمه كيف يحارب ويركض (٣) ويروغ فان حركاته وسكناته الجثمانية تحت حكم عقلى . أفليس « لبيداس » مثله ينبغي أن يرشد ويؤمر ويساق ؟ انه لرجل خاوى النفس مجدب العقل فلذا ترى الاشياء العتيقة البالية التى نبذها الناس نبذ النواة هى التي يستهل بها آراءه وملاحظاته كأنما هي ذات جدة طريفة ، فلا تعتده يا اوكتافيوس الا متاعا ، والآن أصغ الي فان لدى لامورا أهم من ذلك . ان بروتاس وكاسياس

---

(١) الذهب (٢) يتعب (٣) يجرى

ليعبئان الجيوش فعلينا أن نسرع وننشط فنحشد جيوشنا ونجمع كل أعواننا وأصدقاءنا ونوحد صفوفنا ونقوى انفسنا مااستطعنا الى ذلك سبيلا . فدعنا اذن ننصرف لننظر فى شؤوننا وكيف ندرأ الخطأ المحدق بنا ونزيح الستار عن تلك الاسرار الخفية

ـ هيا بنا لاننا نكاد نكون فى الشراك ويتهددنا الاعداء ابتغاء اصطيادنا وان بعض الذين تفتر ثغورهم لنا بحلو الابتسام لايطوون لنا فى أعماق قلوبهم الا اصلال (١) الاذى ولا يودون الا لو أوقعوا بنا الوف الرزايا .

* * *

ولقد صدق حدس انطونى فقد اعد المتآمران بروتاس وكاسياس عده القتال وحشدا جيشهما وضربا اطنابهما وخيامهما مقربة من ساردیس ولكن حدث بينهما سوء تفاهم . ذلك ان بنداراس احد اتباع كاسياس المخلصين ذهب الى بروتاس ليبلغه ان صاحبه على كثب ويحمل له التحية فقال له انه ليحيينى تحية صديق ولكن سيدك يابنداراس قد حملني على ان اود لو

---

(١) جمع صل وهو الثعبان

ان بعض الامور لم تكن وربما كان ذلك ناجما عن بعض مشاغله ومتاعبه او عن اغلاط غيره من اعوانه على انه عندما يحضر ربما يقنعني اويزيل عن نفسي الريب .

قال لا اشك في ان سيدي الشريف كعهدك به دائما يزدهيه الشرف والاجلال

ـ ليس في ذلك ريب . فقال يالوسيلياس أقول لك كلمة .

ـ لبيك يا سيدي

ـ كيف استقبلك كاسياس أخيرا . نبئني ؟

ـ بأدب واحترام لائقين ولكن ليس بمظاهر الوداد الطبيعية وارتفاع الكلفه شأن الاصدقاء الأوفياء

ـ لقد وصفت لي صديقا حاميا يبرد ، اعلم يا لوسيلياس ابدا أن الحب اذا ما أخذ يضني ويفني يتكلف المجاملات وان لاحيل هنالك في الأخلاص الذى لا تشوبه الشوائب ، وأن رجال الختل والرياء مثلهم كمثل الجياد الخائنة اذا امسكتها قبيل المعمعة اضطرمت حماسة وشهامة وإباء حتي اذا ماوافت ساعة العمل الجدي ارخت معارفها وأدلت آذانها ونكصت

على أعقابها وخذلتك فى الجلى (١) مهما أعملت فيها المهماز .

ـ أمقبل عسكره

ـ أنه ليبغى أن يضرب خيامه اذا جن الظلام فى ساردیس . على أن الفرسان وهى الجزء الاعظم اقبلت مع كاسياس :

انصت انى لأسمع وقع اقدام ، يظهر انه اقبل ، قم بنا نقابله . واذا بوادر جيش قد بدت . واقبل هو بعينه ممتطيا جواده وقال :قف

ـ فاجاب بروتاس ـ قف . قل كلمة المرور

الجندى الاول ـ قف

« الثانى ـ قف

« الثالث ـ قف

كاسياس ـ ايها الاخ المتناهى فى الشرف. لقد اسأت الي.

فقال بروتاس ـ احكمى بيننا ايتها الآلهة . هل اسيء الى اعدائى ؟ واذا لم اسيىء اليهم فكيف اسيء الى اخ لى عزيز؟؟

---

(١) الامر الجلل

- إن اسلوبك الرزين هذا ليخفي سيئاتك وعندما تقترفها

فقاطعه صاحبه قائلا : كن مقتنعا يا كاسياس وأفض الى بكل ما ألم بك من الاشجان، انى لاعرفك جيدا ، أما ههنا على مرأى ومسمع من رجالنا الذين يجب أن لا يروا منا الا المثل الاعلى للمودة والاخاء والتضامن فلا يجدر بنا أن نتنازع . مرهم أن يتنحوا قليلا وتعال فى سرادقى يا كاسياس وأفرغ لى كل ما فاض به وطابك ، وسألقى اليك بمرهف سمعى وأنا شهيد .

— يابنداراس مرضباطنا أن يبعدوا الجيوش قليلا .

— يالوسياس ! أفعل انت شرواه (١). ولا تسمح لاى امرىء بالدخول فى سرادقنا ريثما نتم حديثنا ، وانتما يالوسيلياس وتيتينياس احرسا الباب

— لبيك يامولانا

دخلا سرادق بروتاس وأخذا يتعاتبان فقال كاسياس لصاحبه : لقد اسأت الى وهاك برهانى — أنك أنبت لوسياس بيلا وانذرته انذارا شديدا لاخذه الرشوة من أهل

---

(١) مثله

ساردیس ، على أنى شفعت له لديك و كتبت اليك راجيا العفو عنه فاهملت كتابى ولم تعبأ بقولى .

فقال له بروتاس : لقد أسأت الى نفسك اذ كتبت فى هـذا الموضوع .

— ان فى مثل هذا الوقت الرهيب لا يليق أن يعاقب المرء على كل صغيرة وكبيرة

— بالعكس يا كاسياس ، واسمح لى أن اقول لك انك بذاتك متهم كثيرا بحكة اليـد وقبول الرشوة والاتجـار بالمناصب وإسنادها الى غـير الا كفاء من المتزلفين اليك والمتملقين والى خاوي النفوس والضمائر ان بسطوا اليك ا كفهم بالنضار ، فما انت من المحسنين

هل أرتشى؟ أنت تعرف أن بروتاس هو الذى يقولها والا قسما بالالهة ـ فهى آخر كلمه تخرج من فيك

ـ ان اسم كاسياس يحل هذا الباطل فيحني له القصاص(١) هامته (٢) ويخفي نفسه صاغرا ذليلا

ـ قصاص

---

(١) العقاب (٢) راسه

ـ اذكر مارس ، اذكر منتصف مارس ، الم يدم يوليوس قيصر العظيم فى سبيل العدالة ؟ اى مجرم دنىء طعنه بدون حق ؟ كيف يعقل ان احدنا الذى طعن اعظم رجل فى العالم لتشجيعه اللصوص ـ يدنس انامله برشوة سافلة ويبيع مدى شرفه بثمن بخس دراهم معدودات تعيث بها الايادى . إنى لأوثر ان اصبح كلبا ينبح القمر على ان اكون دنيئا عار علىّ وأى عار ان اكون رومانيا دنيئا

ـ لا تحرجن صدرى يا بروتاس ، انى لا اتحمل ذلك ، انك تنسى نفسك وتعنتنى(١) انا جندى اقدم منك واكفأ فى رسم الخطط .

ـ كذبت فما انت كذلك يا كاسياس

ـ بل انا كذلك

ـ اقول كلا

ـ لا تستفزنى ، سأنسى نفسى ، احرص على نفسك ، لا تغرنى بالأذى

ـ غر ايها الرجل الحقير

---

(١) تجلب الى التعب والمشقة

- اهذا ممكن ؟

- اذن فاستمع لى فأنى اريد ان اتكلم . هل ينبغى على ان اخضع لغضبك المتهور هل اضطرب اذا حملق لى مجنون؟

- آه ايتها الآلهة :ايتها الآلهة: هل ينبغى على ان اتحمل كل هذه الاهانة؟

- نعم كلها واكثر، ليغل مرجلك حتى لينفجر قلبك العاتى اذهب وأر عبيدك كيف بلغ بك الحمق والغضب ، ودع ارقاءك ترتعد فرائصهم خوفا منك وذعراً ، هل يجب على ان امد لك عنقى ؟ هل اكترث لك ؟ هل اقف خاضعا لمزاجك المضطرب ؟ يمينا انك لتهضم زعاف (١) حقدك وان شقك ومنذ الساعة ساتخذك اضحوكة لى ومهزلة مادمت غضوبا لادغا.

- أ إلى هذا الحد بلغت الاهانة ؟ .

- تقول انك جندي أفضل منى فهات برهانك إن كنت من الصادقين ، إني لاغتبط أبدا بان اتلقى العلم عن رجال اشراف مخلصين .

- انك لتسيء الىّ من كل النواحى ، انك لتسيء

---

(١) السم القاتل

إلى يا بروتاس ، قلت جندى أقدم لا افضل ، هل قلت أفضل؟

- اذا كنت قلتها فلن اكترث لها

- لم يجرؤ قط قيصر ان يستفز غضبي الى هذا الحد وهو حى .

- هدىء روعك ، هدىء روعك ، ماكنت لتجسر ان تغريه الى هذا الحد

- ألا اجسر ؟ .

- كلا

- كيف لا اجسر ان اغريه ؟ .

- لا تجسر ان تغريه خوفا على حياتك

- لا تعتمد كثيرا على صداقتي ، يمكننى ان آتى ما آسف عليه .

- لقد اتيت مايجب ان تأسف عليه ، لا خوف على ياكاسياس من وعيدك وتهديدك لانى مدجج (١) بالشرف والاستقامة حتي ليمر على كيدك هباء منثورا ، لقد بعثت اليك فى طلب دراهم فضننت علي بها إذ لا استطيع ان

---

(١) مسلح

اكسبها بوسائل دنيئة . قسما بالسموات والملأ الاعلى إنى لاوثر ان اقدّ فؤادي نقوداً واحول دمى دراهم على ان ابتز اموال الفلاحين المساكين بطرق غير مشروعة . لقد ارسلت اليك رسولا في طلب نقود اوفى بها اجور جنودى فحبستها عنى شحا منك وحرصا، أحرى بذلك كاسياس؟ هل كنت اجيب طلب كاياس كاسياس هكذا؟ فلئن غدا مارکاس بروتاس شحيحا كزا الي هذا الحد ، الى حد ان يحبس ذلك المعدن الحقير عن اصدقائه ويبخل به عليهم ـ فلتنزل عليه يا ايتها الآلهة جميع صواعقك ولتنسفيه نسفا فاذا هو هباء منثور

ـ لم ابخل عليك

ـ لقد بخلت

ـ لم أبخل ، إن الرسول الذى جاءك بجوابى لاحمق ، إن بروتاس قطع قلبي بكلماته ، الصديق يجب ان يفسح صدره لضعف صديقه، ولكن بروتاس يعظم ضعفي ويبالغ فيه.

ـ لم افعل حتي بدأت بالاساءة

انك لا تحبنى

ـ انا لا احب غلطاتك

ـ ان عين الحب لا ترى مثل هاتيك الغلطات

ـ بل عين النفاق تعمى عنها وإن عظمت حتي ضاهت جبل « اوليمپاس » العظيم

— تعال يا أنطوني ويا اوكتافياس الصغير ، انتقما من كاسياس وحده لأنه قد سئم الحياة اذ كرهه حبيبه واحتقره أخوه وأنبه كما تؤنب العبيد ، وقد سجل غلطاته واستظهرها لياقي بها فى وجهه ازدراء واحتقارا . آه ! ان روحى لتكاد تفيض . هاك خنجرى ، وهذه رقبتى العارية ، وها هو ذا فؤادى اثمن من منجم « پوتاس » الذهبي وأعز من اللالىء والجواهر ، فان كنت رومانيا حرا فانتزعه ، فانا الذى ضننت بالذهب أجود عليك بقلبي ، فاطعنه كما طعنت قيصر من قبل ، لانى أعلم حق العلم أنك وان كرهته أشد الكره فقد أحبته أكثر مما أحببت كاسياس مدى حياتك .

ـ أغمد نصلك ، كن غضوبا ما شئت فسأفسح لك مجال صدرى الرحب وافعل ما اردت فان كل غلطاتك التى تبدر منك سأعدها كأن لم تكن شيئا وكأنها عرض زائل لا ينطوى على أثر من سوء النية . آه يا كاسياس ! ان الذى أحرج صدرك

ـ يالوسيلياس ، ياتيتياس مروا القوادأن يحطوا رحالهم الليلة هنا .

ـ وارجعا ومعكما مسالا حالا

ـ لبيكما أيها القائدان العظيمان

وقال بروتاس أعطنى كوبا من النبيذ يا لوسياس

ـ لبيك يامولاى .

كاسياس ـ ما كنت اظن انك تغضب هكذا ؟

ـ آه يا كاسياس إني لمضنى بأحزان عدة

ـ اذن فأنت لم تستفد من فلسفتك شيئا اذا كنت تفسح فى نفسك للمحن الطارئة مجالا تختلف فيه إليك فتنغص عليك عيشك وتكدر من صفوك .

لارجل يفضلنى فى تحمل الاسى بصير وجلد «بورشيا»

ـ ماتت

آه ! بورشيا زوجتك المحبوبة !

ـ ماتت

كيف نجوت من القتل عندما أغضبتك وهجت أعصابك؟

آه . يالها من خسارة فادحة مؤلمة، ويالها من رزء مريع !!

بأى مرض ماتت ؟

قلقت لغيابي وحزنت اذ علمت ان انطوني وأوكتافياس الصغير تقويا كثيراً فجنت وانتهزت فرصة غياب خادمها فشربت السم فماتت منتحرة .

هل ماتت هكذا ؟

هكذا ماتت .

آه يأيتها الآلهة الخالدة : رحماك . رحماك

واذا بالغلام قد عاد يحمل نبيذا ومشعلا فقال الشجاع بروتاس لصاحبه كفي . كفي أعطني كوبا من النبيذ أئد (١) فيه كل آلامى يا كاسياس

ـ ان فؤادى لمتعطش لها : أفعم الكأس حتي تفيض فما أظمأنى لنخب مودة بروتاس وخرج الغلام

ـ ادخل ياتينياس ، فدخل ومعه مسالا

ـ مرحبا يا مسالا يا صالح ، أدن الي هذا المشعل . وقل لى ماوراءك ياعصام ؟

---

(١) وأد يئد دفن حيا

كاسياس - بورشيا وا أسفاه . هل ذهبت؟ ! ...

- كفي . كفي أرجوك . يا مسالا لقد وصلتنى خطابات تدل على ان اوكتافياس ومارك انطونياس نازلان علينا بقوة عظيمة وجيش لجب وسيعرجان على اقليم « فيليبي »

جاءتنى الكتب بهذا المعني أيضا .

- اعندك من مزيد؟

- لقد أنشأ الحلفاء الثلاثة اوكتافياس وانطونياس وليبيداس مة سوداء وأعدموا مائه من النواب

- لا تتفق كتبنا فى هذه النقطة ، فان كتبي تفيد أن الذين عدموا بهذه الطريقة سبعون نائبا من بينهم ذلك الرجل العظيم سيسرو .

كاسياس - هل سيسرو من ضمنهم

نعم اعدم سيسرو الخطيب المفوه . هل وردت اليك خطابات من زوجتك يا مولاى

بروتاس - كلا يا مسالا .

- الم يذكر اي شيء عنها فى الخطابات التي وردت اليك

- كلا يا مسالا

ـ اظن هذا غريبا

ـ لماذا تسالنى هل سمعت شيئا عنها فى خطاباتك

— كلا ياسيدى

— اذا كنت رومانيا حرا فاصدقنى النبأ

ـ اذن كرومانىّ حر تحمل الصدق الذى أنا قائله : لقد ماتت بطريقة غريبة .

ـ الوداع ! الوداع يا بورشيا ،ليس من الموت بديامسالا فاذا ايقنا أن لامندوحة لها من الموت يوما من الايام فأنى لأتحمل رزء موتها الآن وان كان مؤلما

— وهكذا يتحمل الرجال العظام الخطوب العظام كاسياس ـ و هذا معتقدى أيضا ولكن طبعى لا يتحمل مثلكما

بروتاس ـ أجل . هلموا الى عملنا الحي . ماذا ترى فى مسيرنا الى فيليبى ورآياأخى كاسياس ؟

— لاأظنه حسنا

— هات برهانك

هاكه : يحسن أن العدو يبحث عنا فيتعب نفسه ورجاله

ويفقد جزءاً من قوته. فى حين اننا ههنا مستريحون مستعدون للدفاع عن أنفسنا اذا هاجمنا مهاجم

— : البرهين الجيدة تخلى السبيل طبعا للتي هى أجود منها : ان الذين يقطنون فيما بين أقليم فيليبي وهذه الارض ليس موقفهم حيا لنا الا موقف ود متكلف فقد أمدونا بمساعدتهم بشق النفس ولذا فان الخصم اذا مر عليهم استفاد واتخذ منهم أنصارا علينا فيهاجمنا وهو أقوي مما كان فالاوفق اذن ان نقوت عليه هـذا القصد اذا ما شددنا رحالنا الى « فيليبي » وواجهناه هنالك مخلين أهل ذلك الاقليم وراء ظهورنا .

— وافقنى أيها الاخ الصالح

— اسمح لى بكلمة ينبغى أن تلاحظ أيضا أننا بلونا (١) السواد الاعظم من أعواننا فما لنا الآن من مزيد فى حين أن قوة الاعداء كل يوم فى ازدياد ونحن وقد بلغنا القمة المستطاعـه خليقون بان نهبط بطبيعة الحال ، إن ثمة لتيارا فى أعمال الرجال فاذا ما انتهزنا نهزته أدي الى الفوز والنجاح واذا اغفل فقد تسير سفينة الامل فى ماء ضحضاح (٢) فاذا بها وقد تحطمت على

---

(١) اختبرنا (٢) ضد الغمر ، القليل من الماء

صخور اليأس تحطيما، وفى مثل هذا البحر الزاخر تمخر سفينتنا فعلينا ان نستخدم التيار فى الفرصة السانحة لئلا تفشل سياحتنا ونكون من المفرقين.

- إذن فشد الرحال كرأيك لنلقاهم فى أقليم « فيليبي »

- لقد طغى علينا الليل ونحن فى حديثنا مستغرقون وان للطبيعة لضرورات فلابد أن نستريح قليلا اذا لم يكن لدينا من مزيد فى الحديث

- لا مزيد. سعدت ليلتك، سنبكر غدا ونشد الرحال فى حمى الآلهة

- سعدت ليلتك، وخرج كاسياس ليستريح

- يا لوسياس! - لبيك ياموى

هات جلبابي فأحضره

- اين قيثارتك (١)؟ - هنا فى السرادق.

ماهذا؟ أتتكلم وأنت وسنان (٢)؟ أنا لا أؤنبك أيها الغلام المسكين فقد اضناك السهر والحراسة الى بكلو دياس وبعض رجالى فانهم سيهجعون على الوسائد فى سرادقى

---

(١) آلة طرب (٢) نعسان

- يافارو! يا كلوديا س

- لبيك

- ارجوكم ايها السادة ان تناموا فى سرادق فلربما تدعوني الحاجة الي ايقاظكم فى غضون (١) الليل فى طلب لاخي كاسياس . .

- لتكن ارادتك . سنقف فى خدمتك طائعين

- لا أريد ذلك ناموا مطمئنين ، فربما غيرت رأيى ، أنظر يا لوسياس ، ها هو ذا كتابي الذى بحثت عنه طويلا ، وضعته فى جيب جلبابي ونسيته

كنت موقنا أن مولاي بروتاس لم يعطنيه

— معذرة يا بنى الصالح فاني لكثير النسيان ، ألا تستطيع أن تمسك جفنك الثقيل مليا وتوقع لى نغمة أو نغمتين على قيثارتك ؟

— سمع وطاعة يامولاى .

انى أتعبك كثيرا ، ولكنك راض

— هذا واجبي يا مولاي

---

(١) اثناء

— ليس لي أن أحملك من الواجب ماهو فوق طاقتك، وأنى لأ درى أن دم الشباب يحتاج الى كثير من الراحة . .

— نمت يا مولاي نوما كافيا

ـ حسنا فعلت، وستنام مرة اخرى فأنى لا اسهرك طويلا اذا حييت فسأحسن اليك

ووقع على قيثارته بضع نغمات فاترة فقال له بروتاس :

انها النغمة ناعسة، تبالك ايها النوم القاتل . اتنوء بكلكلك على غلامى وهو يطربك بنغم الموسيقي ؟

سعدت ليلتك أيها الولد الصالح، لا أريد أن اؤذيك بأيقاظك اذا اهتززت حطمت قيثارتك سأخذها منك ، سعدت ليلتك ايها الولد الصالح .

وسحب القيثارة من بين يديه بلطف وتركه يغط (١) فى نومه وعمد الى كتابه واخذ يقلب صفحاته علّه يعثر على الصحيفة التى انتهي عندها واذا بشبح قيصر قد دخل عليه فى شكل مخيف فاعترته الدهشة وقال : عجبا عجبا . ما هذا . من أتى هنا ؟

---

(١) يستغرق

احسب ان ضعف نظرى مثل امامى هذا الخيال الوحشي انه لهاجم على. أأنت شيء ؟ أأنت بعض الآلهة أو بعض الملائك أو بعض زبانية(١) جهنم؟ انك لتجمد دمى فى عروقى وتقف(٢) شعر رأسي ! حدثنى ما أنت ان استطعت حديثا ؟ !

ـ أنا روحك الشريرة يا بروتاس

ـ لماذا حضرت ؟

ـ لاخبرك أنك سترانى فى « فيليبي »

ـ حسن ، اذن ساراك مرة أخرى .

ـ نعم فى « فيليبي »،

لماذا أراك فى « فيليبي »

واذا بالشبح قد اختفى فقال بروتاس : الآن تشجعت اذ اختفيت يأيتها الروح الشريره، وددت لو أطلت معك الحديث، بني يالوسياس . يا فارو. يا كلوديا س . أيها السادة استيقظوا يا كلوديا س ! . . . . .

فتنبه لوسياس قليلا وقال الاوتار يا مولاى فاسدة

ـ يحلم انه لا يزال يوقع على قيثارته. استيقظ يالوسياس

---

(١) شياطين (٢) قف الشعر بالتشديد وقف

ـ لبيك يا مولاى

ـ هل كنت تحلم يا لوسياس حتي صحت

ـ لا ادرى أني صحت يامولاى

ـ نعم صحت . هل رأيت شيئا

ـ لم أر شيئا يامولاى

ـ نم ثانية يا لوسياس ؟ فنام

ـ سيدى كلوديا س يا فارو ! اصح اصح

ـ لبيك يا مولاي ، لبيك يا مولاى

ـ لماذا تصيحون فى منامكم

ـ هل صحنا يامولاى ؟ !

ـ نعم هل رأيتم شيئا ؟

ـ لم نر شيئا ياسيدنا

ـ اذهبا الى أخى كاسياس وبلغاه تحيتي وقولا له شد رحالك مبكرا ونحن فى أثرك

ـ سمع وطاعة يامولانا بروتاس . ومضيا فى مهمتهما

الفصل الخامس

الحرب

حشد انطونياس وحليفه البطل المغوار اوكتافياس قيصر جيشهما اللجب واكملا العدة وأتما اللأمة ونظما صفوفهما أيما تنظيم تحدوهما روح الانتقام من الخونة المتآمرين لذلك الرجل العظيم الذى أهدر دمه ظلما وعدوانا ولبست لحينه روما ثوب الحداد من قاضيها لقاصيها، وقادا جنودهما الى سهول « فيليبي » حيث تكون المعركة الفاصلة بين الحق والباطل وقال اوكتافياس لحليفه ذى المقام الاسنى : الآن يا انطونياس لقد تحققت امانينا، قلت ان العدو لا ينزل علينا بل يلوذ بالتلال والربى (١) ولكن الدلائل دلت على غير ذلك وهاهى ذى بوادرهم فهم ينوون إنذارنا ههنا فى سهول « فيليبي » بادئين بالهموم .

لا بأس، كأني فى صدورهم، فانى لأعرف ما يسرون انهم ليعرجون على بعض الاقاليم وينزلون علينا بقوة وافرة

---

(١) الاماكن المرتفعه

زاعمين أنهم يلقون الروع فى نفوسنا فنظن أنهم متوقدون شجاعة وإقداما . واذا رسول قد جاءهم راكضا يلهث تعبا وقال لهم استعدا ايها القائدان ، ان العدو لمقبل فى مظاهر شجاعته وقد رفع لواء الهيجاء ولا بد الساعة من أمر جلل

فقال انطوني - حسن . حسن هيا يا اوكتافياس قد جيوشك بهوادة وثباب الى الجهة اليسرى من الميدان

- سأقودها الى الميمنة ، الزم أنت ميسرة الميدان

- لماذا تعترضني فى هذه الآونة الحرجة

- أنا لا اعترضك ولكني سأفعل ذلك

وهكذا وقفا موقفهما في الميدان كما اراد اوكتافياس قيصر وما هى الا دقائق معدودات حتى ظهر جيش بروتاس وكاسياس

فقال الاول لصاحبه انهم مستعدون ويظهر انهم يريدون حديثا

- مكانك يا تيتيناس . علينا ان نتقدم ونتكلم

وقال اوكتافياس أتعطنى يا مارك انطونى إشارة الحرب

- لا ياقيصر سنلزم جانب الدفاع فنصد هجماتهم ، يلوح لنا أن قوادهم يبغون حديثا

ـ لا تتحركوا قبل الاشارة

بروتاس ـ الكلمات قبل الضربات أيها المواطنون

اوكتافياس ـ اننا لا نحب الشرشرة مثلكم

ـ الكلمات الطيبة خير من الضربات الرديئة

انطونى ـ فى ضرباتك الرديئة يا بروتاس كلمات معسولة، انظر الي الثلم الذى ثلمته فى فؤاد قيصر العظيم وأنت تصيح بملء فيك « فليحي قيصر فليعش قيصر »

فقال كاسياس اللئيم. لاعهد لك بالضربات بعديا انطونياس ولكن الفاظك حلوة ختالة تخلب لب النحل وتسلبها عسلها

ـ ولكن لادغة

ـ وغادرت النحل ولا صوت لها اذ سرقت طنطنتها يا انطونى انك قبل اللدغ تحكم الوعيد

ياأيها الاوغاد الاثمة انكم لم تفعلوا ذلك عندما تكسرت نصالكم بعضها فوق بعض فى جوانب قيصر العظيم، فلقد أبرزتم نواجذكم وترلقتم وتملقتم وتحسستم وخضعتم وجثوتم كالعبيد الارقاء صاغرين ولثمتم مواطيء الاديم من نعل قيصر واذا بالخائن الغدار كاسكا قد فاجأه فى عنقه بطعنه

نجلاء . ويحكم يأيها المتملقون المارقون .

كاسياس — متملقون مارقون ؟ ! الآن لتحمد (١) مغبة عملك يا بروتاس ، ماكان لهذا اللسان الوقح أن يسبنا اذا كان كاسياس حكما . اوكتافياس ـ تعالوا . تعالوا . نحكم السيف فان الكلام الفارغ ليفضح العرق عبثا ، أنظروا هاهو ذا حسامي أشهره فى وجوه الخونة المتآمرين السفاحين ، متى تحسبون أن العضب (٢) يغمد في قرابه (٣) ؟ يمينا بالآلهة انه لن يغمد حتى ننتقم لكل طعنة من طعنات قيصر الثلاث والثلاثين انتقاما عادلا أو يلحق بجريرة (٤) الخونة الاثمين مقتل قيصر آخر !

بروتاس ـ لاتموت بايدى خونة الا اذا كانوا فى جيشك هكذا أتمني فاني لم أولد لاموت على ظبات (٥) بروتاس اذا كنت أعز رجل فى عشيرتك فلن تجد ميتة هى أشرف لك من تلك التي تجيئك على حد صارمى (٦) يأيها الرجل الضئيل .

---

(١) تحكم لان كاسياس رأى بادىء ذى بدء أن يقتل انطونى مع قيصر ليأمن شره ولكن بروتاس أبى

(٢) السيف (٣) غمده (٤) جريمة (٥) جمع ظبة حد السيف (٦) سيفى

وقال كاسياس - صبي غر يقوده ماجن .مستهتر خليع
فاجاب انطونياس لانزال كاسياس القديم :

وقال اوكتافياس قيصر تعالى يا انطوني هلم نقاتلهم .
هلموا الى القتال يأيها الاوغاد المجرمون ، اذا كنتم تقوون على الحرب اليوم فاقتحموا غمارها والا فالبثو حتي تتشجعوا يأيها الجبناء الخائرون وتقدم جيش الحليفين انطونياس واوكتافياس للقتال فقال الداهيه كاسياس ، فلتعصف الهوجاء (١) ولتمخر الجارية (٢) العباب ولينفخ فى أبواق الويل والثبور ، يامسالا لبيك يا مولاى

- هذا يوم ميلادي ، فى مثل هذا اليوم ولد كاسياس .
هات يدك يا مسالا وكن على شهيدا ، انه ليعز على أن أضحى متسع حريتي فى معركة واحدة ، أنى كما تعلم اعتقد فى مذهب « ابيكوراس » (٣) ولكن لامرما أنزع اليوم الى تغيير معتقدي فأصدق الى حد ما بعض الطيرة والنذر ، بينا أنا مقبل

---

(١) الرح الشديدة جداً (٢) السفينة (٣) مذهب الذين لا تعتقدون فى السيطرة والاحلام بل يعتقدون انها اوهام وخيالات لاطائل تحتها يخلفها الفكر المضطرب والنظر الحائر

من « ساردیس » اذ حط بازیان (١) عظیمان علی مقدمة لوائنا كانهما یتغذیان من أكف الجیش وقد تبعانا محلقین فوقنا كالسحابة السوداء حتی بلغنا سهل « فیلیبی » وما تنفس الصبح حتی اختفیا ولكن حل محلها الغربان والنسور وشهب الغزاة وحلقت فوق هامنا كانما نحن لها فریسة همت بأعمال أظافرها فی أحشائها ، إن تلك الطیرة لتلقی علی جیشنا ظلا كثیفا واخشی أن تنذرنا بالهزیمة والفشل ؟ فمن لی یا صاح بزاجر (٢) الطیر یصدقني الرؤیا ان كان من الصادقین.

ـ لا تكن فی الطیرة وزاجری الطیر من المعتقدین

ـ ما أعتقد فیها الا یسیرا لانی ذكي الفؤاد جدیر بأن الاقی الخطوب ثبت الجنان (٣)

ثم حول حدیثه الی بروتاس فقال له : یا بروتاس یا أشرف الأشراف . لعل الآلهة تقف فی جانبنا حلیفة لنا حتی نستأنف نحن الاقویاء فی السلم عیشنا بعد الحرب بمودة وولاء

---

(١) المفرد بازو والجمع بزاة كواسر الطیر (٢) زاجر الطیر الذی ینبئك عن مصیرك من حركات الطیور وأنواعها التی تراها حین تهم بأمر من الامور (٣) القلب

ولما كان الغيب غير مكشوف السجوف (١) فلنتوقع شر الحدثان فان دحرنا فى هذه المعركة فان هذا اليوم لآخر عهدنا باللقاء ، ألا نبئن ماذا اعتزمت ان تفعل اذا ماساءت المقادير ؟

— اني لا أعرف على أية قاعدة من قواعد الفلسفة أنحيت باللائمة على « كاتو » حين أذاق نفسه الردى انتحارا ولكني موقن جد إيقان أنها لجريرة يجرها الجبن والتمرد على نواميس الانسانية فيعمد المرء الى قطع سبب (٢) حياته بيمينه خشية طوارىء الدهر ، على أنى شاكى (٣) سلاح الجلد والثبات وسأنتظر تدبير تلك القوى العلوية العظمى التى تهيمن علينا نحن الذين نعيش فى هذا العالم السفلي ..

— اذن اذا هزمنا فسترضى ان تؤخذ الى روما أسيرا ويطاف بك فى سبلها ذليلا ؟؟

— كلا ياكاسياس ، لا تظن ذلك ابدا يأيها الروماني الشريف ، لا يدورن فى خلدك أن بروتاس يعود الي

---

(١) الاستار (٢) حبل (٣) شاكي السلاح أي شاهر

روما اسيراً ذليلا ، ان له لعقلا كبيرا يربأ به عن مواقف العار، على أن هـذا اليوم سيتم العمل الذى بدأناه فى الخامس عشر من شهر مارس أما لقاؤنا بعد فعلمه يتخبط فى دياجير (١) الغيب فالوداع . الوداع المخلد يا كاسياس ! ، اذا قدر لنا اللقاء بعد اليوم فسوف نجذل (٢) والا فقد كان هـذا الوداع خيرا .

— الوداع الوداع الى الابد يا بروتاس

— اذن فشمر عن ساعدك . آه . من لنا بمعرفة مصير هـذا اليوم ؟ ولـكن حسبنا أن نعرف أنه سينتهى وستظهر نتيجته حتما .

وسلم كل منهما على الآخر وتبادلا كلمات الوداع ومضى كل منهما يقود فرقته فى ميدان القتال

***

أمر بروتاس أحد ضباطه مسالا أن يمتطى جواده ويسلم الاوامر الى قواد الـكتائب التى تحارب تحت أمرته كي تحارب حالا لانه شم رائحة ضعف من جناح اوكتافياس فظن أن

---

(١) جمع ديجور وهو الظلام الحالك (٢) نفرح فعله من باب تعب

الضربة الالازبه(١) تفرق جيشه طرائق وتمزقه حزائق فما على جنوده الا أن يقتحموا الهيجاء فورا ، فى حين أن كاسياس كان متبرما ضجرا لأن بعض رجاله جبنوا وحاولوا الفرار فقال لأحد اعوانه تيتيناس يبدو همه وغيظه انظر يا تيتيناس تر الاوغاد يفرون ان نفسى غدت لنفسى خصما ، ان الجندى الذى يحمل علمنا كان محجما يبغى فرارا فضربت عنقه وانتزعت منه اللواء .

— آه يا كاسياس ان بروتاس أصدر الامر بدون تريث ولا تدبر اذ انتهز نهزة خادعة على اوكتافياس فكانت وبالا على عسكره فقد تمزقوا بينا جنودنا قد احدقت بهاجيوش انطونياس فأنى لأخشى سوء المصير

واذا برسول يقال له بنداراس قد أقبل راكضا يلهث على عجل وقال الفرار الفرار يامولاى كاسياس ، مارك انطوني فى خيامك . قال

ـ هذا التل بعيد ، انظر انظر يا تيتيناس فأن نظرك حاد ونبئن أهذه خيامنا التي أرى النار تضطرم فيها اضطراما ،

---

(١) الشديدة اللاصقة

ـ هى خيامنا يا مولاى

ـ اذا كنت تحبنى يا تيتينياس فامتط جوادك وخبىء رمحك فى ظهره حتي يبلغ بك تلك الرابية حيث اولئك الجنود وارجع الي على الفور ونبئنى هل رأيت أعوانا لنا أم اعداء

ـ سأذهب وأعود اليك بأسرع من مر الخاطر

— وأنت يا بنداراس اجر اعتل ذلك التل فان نظرى ضعيف وارقب تيتينياس وخبرني بما ترى

— لبيك يا مولاى

وجرى حتى بلغ التل فارتقاه وجعل يرقب رسول كاسياس . كاسياس — فى مثل هذا اليوم تنسمت أول نسمة للحياة ، أن الزمان لدوار ، وحيث بدأت لامحالة عائد فقد جرت حياتى شوطها وليس ثمة بد من تسريح جوادها ، — ماذا رأيت ياسيدى ، فصاح بنداراس من فوق التل . آه يا مولاى ! !

ـ ما وراءك ياعصام ؟

ـ تيتينياس أحاط به الجند ، ولكنه يجاهد ويستحث جواده الآن هم هاجمون عليه ، الآن . . . تيتينياس ! . . . .

الان ارى نارا تضطرم . آه ! هو يشعل النار ايضا . . . آه لقد أخذ ! . . . اسمع اسمع انهم يصيحون فرحا تبالهم . . . فبلغ الحزن والهم من كاسياس غايه ليس وراءها غاية وكاد يهوى على الغبراء مغمى عليه من فرط الدهش والذهول وقال لبنداراس اهبط اهبط حسبك ما رأيت من مشاهد الشؤم آه ما اجبنني لو أعيش بعد اليوم الذى أرى فيه أوفى صديق يؤخذ عنوة أمامى ! !

ولما هبط بنداراس من على التل قال له كاسياس المحزون المهموم : تعال هنا ياسيدي ، تعلم انى أخذتك فى « بارثيا »(١) أسيرا وقد أقسمت لى يمينا مغلظة ان تصدع بأى أمرتك على ان أطلق لك عنان حريتك فتمرح وترتع حيث شئت ، فأبر الساعة بتلك اليمين تكن طليقا ، هاك نصلى الحر الذى أخترق فؤاد قيصر وأطعن به صدرى ، ولا تكونن من أمرك على هوادة ، أمسك بقبضته وإذ ترى محياى هكذا مستورا قد السيف.

فأبر الاسير بيمينه وطعن كاسياس طعنة نجلاء فقال

---

(١) بلاد العراق

وهو يقاسى النزع : اهدأ ياقيصر فلقد انتقمت لنفسك حتي بذات الخنجر الذى قتلك ، وفاضت روحه ومضت الى مستقرها وغادره نيداراس مطرحا على الغبراء مدرجا بدمائه وهو يقول : إذن فانا منذ الساعة طليق وما كنت لابلغ تلك الامنية اذا أنا أطعت عواطفي وأحجمت عن تنفيذ أمر سيدى ، آه ياكاسياس ! الوداع الوداع ياكاسياس ، سيفر نيداراس بعيدا عن هذه البلاد حيث لن يراه أى رومانى أبدا ، وجد فى الهرب والاختفاء فى تلك الفيافي المترامية الاطراف المتسعة الارجاء ، وما كاد يختفي عن الانظار حتي عاد تيتينياس مع مسالا يتجاذبان أطراف الحديث فيقول الثانى إن هى الا مبادلة ياصديقي تيتينياس لان أو كتافياس قيصر أحدقت بجيشه جنود بروتاس الشريف كما أن جنود كاسياس أحاطت بها عساكر انطونى .

ـ ان هذه الانباء لتشرح صدر كاسياس الذى ينتظرنى يذاهب الصبر .

ـ أين غادرته ؟

- غادرته فى قنوط (١) مع أسيره بنداراس على ذلك التل

- اليس هو ذلك الراقد على البطحاء ؟

- ليس براقد كالاحياء ، ويحك يافؤادى ! !

— أليس هو هذا ؟

— لا بل هذا كان هو ولم يعد كاسياس بعد يا مسالا ، آه يا أيتها الشمس الغاربة ، كما انك في أشعتك المحراء تغيبين فى حجب الظلماء فهكذا فى دمه القاني يغيب اليوم كاسياس ، غربت شمس روما ! انقضى اليوم واقبلت السحب وتكاثف الضباب وادلهمت الأخطار والخطوب ، تمت أعمالنا ، ان عدم الثقة بنجاحى أجرم عليه ذلك الأجرام

— ان عدم الثقة بالنجاح ارتكب هذا الجرم الشنيع ، تبالك أيتها الغلطة الممقوتة وليدة الاحزان والهموم ، لم تخلفين فى أحلام الرجال اشياء ليست من الحقائق فى شيء ، ويلك وسحقا لك وبعداً يا أيتها الغلطة الممقوته ، انك ماتكادين تولدين حتى تعمدي الى قتل أمك الرؤوم

- كيف ذلك ؟ كيف ذلك ؟ يابنداراس ! يا بنداراس !

---

(١) يأس

أين أنت يابنداراس؟؟؟

- ابحث عنه ياتيتينياس ريثما اذهب فأقابل بروتاس الشريف وأقذف بهذا النبأ المريع فى مسمعه فان وقع الصواعق لأهون عليه خطبا من هذا النبأ المشؤوم

- عجّل يا مسالا وسأبحث عن بنداراس

ولما خلا تيتينياس الي نفسه جثا على رفات صديقه كاسياس يبكيه بكاء الثواكل ويندبه ندب الموتور ويقول وهو يكاد يختنق بعبراته ويحترق بزفراته :لماذا بعثتني ياكاسياس ياشجاع؟ ألم أقابل أصدقاؤك ؟ ألم يحلوا حاجبي تاج النصر هذا الذى ألبسه ؟ ألم يأمروني أن أعطيك أياه ؟ ألم تسمع تهليلهم وهتافهم وأسفاه ، واحسرتاه . لقد أسأت تفسير كل شيء ، ولكن رويدك رويدك ، البس هذا التاج فوق جبينك، فان خليلك بروتاس أمرني أن أعطيك اياه وانى لصادع بامره ، تعال يابروتاس ، تعال انظر كيف أجلت أخاك كاياس كاسياس ، استأذنك ياايتها الآلهة ، انى لصديق رومانى ، تعال ياسيف كاسياس واطعن قلب تيتينياس ، وطعن نفسه طعنة نجلاء بسيف كاسياس فهوى على الاديم مخضبا بدمائه وفاضت روحه

الطاهرة وذهبت الى مستقرها

عادمسالا ومعه بروتاس وكاتو الصغير وستراتو وفولنياس ولوسيلياس واجمين من فرط ما ألمّ بهم من الحزن كأن على رؤوسهم الطير ولما اقتربوا من مصرع كاسياس قال بروتاس أين جثته يامسالا ، أين هى ؟

ـ هاك حيث يبكى عليه تيتينياس المخلص

ـ ان وجه تيتينياس لمتجه الى العلي

فقال كاتو : انه لقتيل

بروتاس ـ آه يايوليوس قيصر ، إنك لاتزال عظيما : ان روحك لتحوم حولنا وترد سيوفنا فى نحورنا

كاتو ـ ماأشجعك ياتيتينياس: انظروا تروا انه قد توج رأس كاسياس وهو ميت

بروتاس ـ هل لا يزال في هذا الوجود رومانيان كهذين الشهيدين ؟ الوداع ، الوداع ياأفضل الرومان ، محال أن تنجب روما مثلكما مدي الدهر ، أيها الاصدقاء الاوفياء ، اني لمدين بغزير الدمع لفقيدنا العظيم وما ترونى ادفع من ديني الا النذر اليسير ، فى ذمة الآلهة ياكاسياس ، فى ذمة الآلهة ياكاسياس

معذرة ياكاسياس فاني سأوجد الوقت لبكائك سأوجد الوقت تعالوا نرسل جثته الى « تاسوس » فانا لا نطيق تأبينه فى معسكر نا لوعة وحزنا تعال يا لوسياس . تعال يا كاتوا الصغير ، تعالوا أيتها البقية الباقية من الشجعان نقتحم غمار المعركة ونعالج حظنا فى واقعة أخرى قبل أن يغرق النهار فى خضم الظلمات

احتدم وطيس الهيجاء وحصد منجل الحمام الارواح حصدا وتناثرت أشلاء القتلى وتكدست رفاتهم بعضها فوق بعض سابحات فى بحار من الدماء تكتنفها عاصفة هوجاء قاتمة من النقع اثارته سنابك الخيل وتجوال الفرسان فى انحاء المعركة التي اشتد أوارها وبلغت من الفظاعة منتهاها فاذا هى مسفرة عن حياة بروتاس وداردانياس وكليناس وستراتو وفولمنياس من أنصار كاسياس وبروتاس بعد أن قاتلوا قتال الشجعان حتي استشهد جيشهم فى الميدان الا أولئك الخمسة الذين لم تبق أهوال الهيجاء من نفوسهم الا حشاشة هى هامة اليوم أو غدا . فلما اجتمعوا . قال لهم بروتاس تعالوا يأيتها البقية السكينة من الاصدقاء تعالوا استريحوا على أهذه الضخرة الصماء

فقال كليناس لقد أعطى ستاميلياس الاشارة ولم يعد

يا مولاي فاما أن يكون قد وقع اسيرا أو قتيلا فقال بروتاس وقد أفعم إياؤه يأسا وقنوطا وأظلته اشباح الموت بظلها الكثيف المشؤوم من كل صوب وناحية : اجلس يا كلثياش. « القتل » هو الكلمة. إنه لعمل مألوف . أصغ الى يا كليناس . وجعلا يتهامسان مليا واذا بكليناس يقول : ما هذا ؟ أنا يا مولاي ؟ كلا ولو أعطيت العالم بأسره

بروتاس . اذن فاصمت

ـ انى لاوثر أن أقتل نفسي ولا أهم بما تعريني به من لئم بروتاس . أصغ الى أنت يادارداناس ، وتهامسا مليا واذا بدارداناس يقول مندهشا : هل أعمل مثل هذا العمل

فقال كليناس . أواه يادارداناس !

ـ أواه يا كليناس !

ـ أى طلب شرير طلبه اليك بروتاس ؟

ـ أن اقتله يا كليناس ، أنظر تره مستغرقا فى تأملاته !

ـ الان لقد فاض ذلك الاناء أسى حتى لا يقوى عليه صاحبه بروتاس . تعال هنا يافولمنياس ياصالح ، اسمع كلمة منى

— ماذا يقول مولاى ،

— لم كل هـذا يافولمنياس ، ان شبح قيصر بدا لى مرتين فى جنح الدجى مرة فى (ساردیس) واخرى هنا فى « فيليبي » الليلة الغابرة ، أنى لاعتقد أن قد حانت منيتى

ـ لا يامولاى

ـ انا موقن أنها حانت يافولمنياس ، الا ترى كيف تسير الدنيا يافولمنياس ، لقد هزمنا أعداؤنا شر هزيمة وأوقعونا فى شراك الردى ، فالاوفق أن نتغلب على أنفسنا بدون هوادة لئلا يهجموا علينا ويغلبونا على امرنا غلبا ، تعلم يا فولمنياس ياصالح أننا ذهبنا الى المدرسة طفلين معا ، فاني لأ استحلفك بعهد ذلك الحب القديم ان تمسك بقبضة سيفى ريثما اجرى عليه وان هى الا لمحـة الطرف .

قال ما هذا واجب الصديق يامولاى

فقال بروتاس : الوداع الوداع لكم ، الوداع لك يافولمنياس ياسترتو لقد كنت طول هذه المدة هاجعا ، ايها المواطنون ان فؤادى يبتهج أذ لم أر مدى حياتى رجلا الا كان لى وفيا لى الفخار كل الفخار بهذ اليوم الخاسر المهزوم اعظم من او كتافياس ومارك انطونى بما أدركاه من فوز مشؤوم ، فالوداع الوداع

لكم جميعا ، ان لسان بروتاس كاد يتم تاريخ حياته وان الليل يشغل عيني وعظامي لتحن للراحة إذ جاهدت حتى هذه اللحظة في الحياة .

واذا بكليناس يقول الفرار الفرار يامولاي .

ـ فروا سأتبعكم ، فقر كليناس ودارد انياس وفولميناس

فقال بروتاس لستراتو : أرجوك ياستراتو أن تلبث مع سيدك . أنت رجل كريم جليل تهزك أريحية الشرف والاباء ، أرجوك ان تمسك بقبضة سيفي وتحول وجهك عني ريثما اجري عليه ، أرجوك أن تفعل ذلك ياستراتو . . . .

فقال ستراتو أعطني يدك أولا . الوداع . الوداع . يامولاي .

فقال بروتاس الوداع ياستراتو ياصالح . وجرى على سيفه وهو يقول ليطمئن قلبك الان ياقيصر فاني لم أقتلك بمثل هذه الارادة القوية التي قتلت بها نفسي وفاضت روحه وذهبت الى مستقرها .

أقبل القائدان الخليفان اوكتافياس وأنطونياس ووراءهما جيشهما الظافر متهللين فرحين بذلك النصر المبين الذي فازا به في سبيل الدفاع عن الحق والانتقام من الخونة الآثمين .

فقال أوكتافياس وقد رأى «ستراتو» أي رجل هذا؟ فاجاب مسالا وهو أحد الاسرى من أعوان بروتاس : انه رجل سيدى . أين سيدك ياستراتو ؟

قال طليق من العبودية التى ترسف فى أغلالها يامسالا، ليس فى استطاعة الظافرين الا أن يجعلوا منه نارا تضطرم لأسيرا يستعبد ويسام الخسف والهوان ، لان بروتاس هو الذى هزم نفسه وما من أحد بقتله فخور .

ـ وهكذا فليكن بروتاس ، شكرا لك يابروتاس فقد حققت قول لوسيلياس . .

فقال اوكتافياس : سأتخذ جميع الذين خدموا بروتاس ووقعوا فى الاسر أعوانا لى وأنصارا فهل تريد أن تخدمنى ياهذا؟ فاجاب ستراتو . نعم اذا أوصاك مسالا علىّ .

افعل ذلك يا مسالا ياصالح . .

كيف مات سيدى يا ستراتو؟

ـ أمسكت بالسيف فجري عليه

ـ إذن فاتخذه من اتباعك يا اوكتافياس فلقد أدى آخر خدمة لسيدى

وقال مارك انطونى : لقد كان بروتاس أشرف روماني فيهم ، فان جميع المتآمرين ماعداه اغتالوا قيصر العظيم مدفوعين ببواعث الحقد والحسد ، أما هو فقد انضم اليهم بحسن نيه بفضل تحريض كاسياس الداهية اللئيم ، وقد أجرم جرمه معهم معتقدا جد الاعتقاد انه ما أثم إلا فى سبيل الصالح العام ، ولقد كانت حياته طيبة والعناصر المتكون منها راقية حتى لقد تنهض الطبيعة وترفع عقيرتها قائلة لجميع العالم « إن هذا كان رجلا » .

فقال اوكتافياس : هلموا نحتفل بدفنه وتأبينه بما يليق بكرامته وشرفه من الاجلال والاعظام ، ولتسترح الليلة رفاته فى سرادق كجندى باسل استشهد فى المعركة بعد أن أدى واجبه مخلصا امينا ، ولتضع الحرب أوزارها ولتهنأ جنودنا الابطال أنصار الحق والفضيلة ، ولنتقاسم جميعنا مفاخر هذا اليوم الاغر السعيد ؟

تمت الرواية

اعتذار

(وقعت بعض أغلاط مطبعية لا يخفى على القارىء استدراكها)

ستظهر قريبا رواية

الخادم المعشوق

أو

الحب المصرى الانجليزى

بقلم محمد أفندى عبد المنعم

مكبث

للكاتب الانكليزي الكبير

وليم شكسبير

تعريب

عبد الرحمن زكي

الناشر

حسين حسنين

صاحب المكتبة المصرية بشارع الفشاوي بمصر

حقوق الطبع محفوظة للناشر

مطبعة الشباب لصاحبها محمد عبد العزيز الصدر

بشارع عبد العزيز خلف جامع العظام

مؤلف القصة

فخر الانكليز الشاعر الكبير

(١٥٦٤-١٦١٦) وليم شكسبير William Shakespeare

وليم شكسبير أكبر كتاب الانكليز وأعظم روائيها . ولد فى ستراتفورد - أون - آفون سنة ١٥٦٤ . وكان أبوه يشتغل بالتجارة ومن المعروفين فى تلك المدينة الصغيرة . وكان وليم أكبر أبناءه . تربى فى مدرسة النحو وهو صغير وأصبح مجهولا حتى بلغ التاسعة عشرة وتزوج فى تلك السنة من « آنا هاثاواي »

بعد مضى خمسة أعوام ذهب الى لندن فارتبط بمسرح « جلوب » وكان يظهر فى أدوار صغيرة .

عرف كشاعر مجيد ينظم القريض سنة ١٥٩٣ فكانت قصيدته « فينس وآدونيس » واسطة تعرفه لدى الجمهور عامة وأدبائه

بعد ذلك ابتدأ فى كتابة روايات المسرح التى شهدت

له بنبوغه وعبقريته والتى جعلته فى المنزلة الاولى من كتاب الانكليز . بل كتاب العالم ! كتب ٣٥ رواية وكلها على نهج أقاصيص اليونان والرومان القديمة فعرفته بريطانيا بأنه فى سماء الأدب كوكبها الساطع الفريد . فأستولى على عرش دولة الأدب وحمل على رأسه تاجه الموشى .

توفي بمدينة استراتفورد ـ أون ـ آفون وهو فى الثانية والخمسين سنة ١٦١٦ ودفن بكنيستها . وقد كتب عنه كاتب كبير قال

بدأت عبقرية (شكسبير) تنفخ أكمام زهرتها عند مانظم قصيدته الأولى فى مديح الملكة (اليزابت) ولقد مخر فى ربيع حياته بحر الغرام فرقصت فى أعماق نفسه عرائس الشعر حيث أحب فتاة عبد جلال الله في جمالها الرائع كما قال هو نفسه عنها فى قصائده الغرامية التي نسج بردها فى وصف تلك الصبية التي استطاب نكهة أنفاسها فوهبها قلبه وحواسه ومشاعره .

لقد تخرج (شكسبير) من مدرسة الطبيعة تلك التى فتحت له كتابها الضخم ووهبته بصراً أحد من بصر الصقور استطاع به ان يقرأ من آيات ذلك الكتاب حتى أدق الحروف ولقد كان ذهنه متقداً فصهر عن حرارته المسائل المبهمة التى كانت فى غموضها أشد صلابة من الفولاذ !

كان شاعرا موسيقيا مفكرا حاداً عميقاً. ولقد تجلت تلك الميزات فى كل ماحذقه قلمه المبدع

لم يكن (شكسبير) شخصاً واحدا بل كان مجموعة نفوس فى شخص ذلك الفتى القروى المريض المعرفة الناحل الذكر ! ! — ذلك الفتى الذى أوحت اليه الطبيعة فلقنت روحه الكبير من مميزات جلال الانبياء . ولقد تألم كثيرا فسكب عن عينيه الدموع الغزار وناح وانتحب ! !

ولقد أجمع النقاد ان ما كتبه (شكسبير) هو بلامراء أبدع ما كتب على ظهر الارض الى اليوم انسان !

وأجمل ماجملته يراعته من صور الاخلاق والغرائز تراه فى (يوليوس قيصر) وفى (عطيل) وفي (هملت) وفى (مكبث)

وما الى ذلك من شتى القطع الخالدة

(. . .)

مكبث

قصة مكبث العظيمة صورة لقوى الخيال والضمير. تلك القوى التى تعمل فى العقل الحساس الشريف: فواقعها حثت بين ذلك الجنس القاطن فى أرض أيقوسية . واذا ما أردت أن تشعر بقوة تلك القصة فأقرأ شيئا عن تلك البلاد :

أيقوسية أو « سكوتلاند » يحوطها من الشرق بحر الشمال. ومن الغرب يحتك بها المحيط الاطلانطيكى العظيم. فترتطم أمواجه بكهوفها وعندئذ تسمع صدى موسيقى جميل ، هناك بعيدا وراء « جالوى هيلاند » وما تحمله من ذكرى المواقع الدموية والمعارك التى فاضت فيها أرواح الابطال . وأنهارها ذات المياه الفضية . وآثارها وخرائبها

التى صحبتها الخرافة والوهم . والقصور المشيدة العالية الابراج . هناك فى تلك الجهة تدور حوادث قصتنا . تلك البقاع التى يسكنها قوم من الجبابرة المتوحشين . الذين يأخذون بثأرهم وينقمون على غيرهم . الذين يكرهون ويشعرون بالبغض حيال كل شىء ! . الذين يعرفون معنى الأخلاص ويقدسونه !

بين هذه الجبال التى كونتها من قديم الزمان الرياح العاصفة . اقتبس أهلها من صفاتها الشىء الكثير ! هم مثل جبالهم وطبيعة أرضهم لافرق بينهما : فكانت قفزات المياه وهدوء البحر وسكونه أساتذتهم ومعلميهم . وبجانب تلك الصفات فهم قوم عرفوا بالشجاعة واشتهروا بالفوز فى معارك القتال الدموية . وعرفوا بتقشفهم . فكان سلاحهم وطلقات رصاصاتهم أشهى لديهم من أنغام الموسيقى المشجية !

دنكان (Duncan) ملك اسكتلندة سيد شعب . مشاغب . حكمه مدة طويلة من السنين بيد قوية

غولاذية وبروح السيادة الحقيقية: طال عمره فعلمته التجارب أشياء مفيدة فقاد جيشه الى المعارك وألم بقواعد الفوز والانتصار .

ففي سنة من سنى حكمه شبت ثورة بين بعض رجاله وتمردوا عليه وساعدهم على ذلك ملك النرويج عدوه اللدود فأمدهم بجنوده . ولكن أرسل دنكان قائدين من أقدر قواده المحبوبين هما مكبث (Macbeth) وبانكو (Banquo) برأسان جيشا من أشجع الرجال .

وكان بانكو جنديا باسلا وسيدا أنيسا له ولد واحد واسمه فلينس (Fleance) . أما مكبث فقد كان شريفا من أعيان قومه عاش فى قصره الجميل فى انفرنس مع امرأته اللادى مكبث وكان جنديا جسورا محبوبا من قومه وموضع ثقة سيده الملك .

تقابل الجيشان واصطدمت القوتان بعضهما ببعض فى موقعة حاسمة فى «فيف» كانت نتيجتها أن أنهزم «سوينو» (Sweno) ملك النرويج «ومكدونالد» حاكم الجزر الغربية

ولورد « كاودور » وتمزقت معهم جيوشهم !

فى تلك الساعة. فى معسكر فوريس. جلس الملك دنكان مع ابنيه « مالكولم » (Malcolm) و « دونالبين » (Donalbaim) ومعهم أشراف البلاد وهم ينتظرون الاخبار بشوق عظيم . وفى لحظة فوجىء المعسكر بحركة غريبة وسمع صوت عال عقبه شوهد الفرح على أوجه الجميع ! فقد ظهر بين الجند ضابط صغير يتساقط من جروحه الدم وهو منهوك القوى وصار يتقرب على مهل من الملك . وحمل اليه خبر الانتصار . ثم بتدأ يسرد ما قام به مكبث من أعمال الشجاعة والبسالة ! ولم ينطق باخر حرف من حكايته حتى ارتمى على الارض لا حراك فيه .

ثم علت اصوات الترحيب من جوانب المعسكر بسبب دخول لورد « روس » وآنجس اللذين تركا جواديهما وجريا ليحظيا بمقابلة الملك فسردا نتائج المواقع مثبتين ما قاله الضابط من قبله فأزداد سرور الملك وفى الحال أصدر أمره بنزع لقب السيادة عن لورد كادور واخر تنفيذ حكم

الاعدام عليه وتحويل اللقب لمكبث . ثم أمرهما الملك بأن يعوا الى مكبث ليتشرف بمنحة الملك فيكون على علم بها قبل وصوله

وكانت الليلة شديدة العواصف . وعلت السحب القاتمة السواد على سماء المدينة فأظلم الجو واحتجب القمر عن الاعين . وظهر البرق فصار يقفز ويتلوه الرعد بصوته الجبار . وفى الوقت نفسه ظهرت ثلاثة اشباح غريبة الاشكال . وجوهها وجوه سيدات عجائز . زادهن الله قبحا وتدلت ذقون طويلة فكانت تختفى واحدة وتظهر أخرى ثم تختفى وتظهر الثالثة وهكذا ...

وفى احدى الجهات الموحشة عند صخرة قاتمة . امتطى رجلان جواديهما وهما يسرعان فى طريقهما المملوء بالمخاطر وسط تلك العواصف السائدة فقال أحدهما

« لم أر فى حياتى مثل هذا اليوم شؤما فى منظره حسناً فى حوادثه » فهز الآخر رأسه وقال .

« أمامنا مسافة طويلة حتى نصل الى فوريس »

* * *

أشتد وميض البرق . فظهرت الاشباح الثلاث أمام بانكو الذى قفز بجواده الى الوراء ليجتنبها ! وغرق مكبث فى بحار افكاره العميقة وعند ما سمع بانكوا يقول :

ما هـذا ؟ من هؤلاء ؟ لباس غريب ! عجائز ! أنهن على ارضنا ولكنهن يخالفن من عليها ! انتن مخلوقات ؟ أنتحادث معكن ؟ يظهر انكن تفهمن ما نطقت به ! لقد وضعتن أصابعكن على ذقونكن التى تعلوها الشعور ! أن ذلك يجعلنى أشك فى أمركن العجيب !

لم يصبر مكبث طويلا فعزم على التقدم أمام زميله وأمر الساحرات بأن يتكلمن ! فكانت كلماته قليلة ولكنها دوت كالطبول .

« تكلمن اذا امكنكن . . . من أنتن ؟ « دعونا نسميكم أى مخلوقات أنتن »

دوى الرعد بعد أن انار الظلمة الكالحة ثم صدرت منهن كلمات التحية . فقالت الاولى :

ـ « أحييك مكبث لورد جلاميس »

وقالت الثانية :

ـ « أحييك مكبث لورد كاودور »

وقالت الثالثة

ـ أحييك مكبث ياملك اسكتلنده فيما بعد »

وردد الجميع هذه التحيه ثلاثا ! !

عند ذلك يقترب بانكو من مكبث قائلا :

ـ « مالى أراك قد أصبت هكذا ؟ عند ما سمعت الشيء الكثير عن مستقبلك السعيد .. أخبرونى أيتها المخلوقات العجيبة أأنتم أجسام أم تصورات وخيلات ! لقد قابلتن زميلى القائد بكلمات تنبيء عن مستقبله تاه فكرى عند سماعها ولكنكن لم تخبرننى شيئا عن نفسى تكلمن : تكلمن واظهرن لى مستقبلى اذا كان فى مقدرتكن »

يسمع تحياتهن ولكنها ليست باكثر مما سمعه مكبث :

عرش اسكتلندا ! ! كيف ذلك ؟ أين اذن أبناء الملك « مالكولم » و « دونالبين » وهما أحق الناس بالملك

من غيرهما !

كان مكبث من أقرباء الملك ومن الاسرة الملكية ولكنه بعيد عن العرش ـ بعيد عن صولجان اسكتلندا . ولكن قلبي يشعر بالخبث . يشعر دائما بالعلو والرفعة وسمو المنزلة . يتحرك طمعه وجشعه كالثعبان السام حين يلتوي ! لقد رأى أكثر من مرة في أحلامه أنه سيكون ملكا وسيمزق « دنكان » ويفرق أسرته هنا وهناك . رأي نفسه على قيد شبر من هاوية سحيقة تحوطها الموانع من جهاتها ويرى أمامه عرش اسكتلندا

فكانت كلمات الاشباح ذات أثر فعال حركت ما في قلبه من الضغينه والسوء . نسى كلماتهن وانتهت العواصف وسمعهن يحدثن بانكو

فقالت الاولي :

« فلتحي يابانكو »

وقالت الثانية

ـ « وأحييك أيضا »

وقالت الثالثة ■

« أحييك لا كمكبث ولكن فوق منه » !

ثم تقول احداهن :

ـ « سيحكم أبناؤك . ولكنك سوف لا تكون ملكا يا أبا الملوك

ـ هذه النبوءة الاخيرة تلهب قلب مكبث فتنبهه وتجعله يصغي للحديث ثم التفت لبانكو وقال

ـ « ستكون ابناؤك ملوكا »

ولكنه صمم فى قلبه الاسود أن ذلك سوف لا يحدث ولن يحدث ! أيقتل أبناء بانكو عرش المملكة ؟ ! لن يكون ذلك

تختفى الأشباح فى الهواء . ويستمران فى سيرهما فيسمعان أصوات حوافر الخيل تقرب منهم . ثم شاهدا « أنجاس » و « روس » يتجهان الى ناحيتهما . اقتربا منهما وأخيرا مكبث أمر الملك الجديد بأن يكون لورد كاودر وهنا تحققت النبوءة الاولى !

فيردد مكبث « جلاميس ولورد كاورد »

وقامت فى الحال فى رأسه صورة مفزعة جعلت ضربات قلبه بغير تدق انتظام - وقف شعر رأسه ! صورة الخيانة والقتل ! رأى نفسه يهوى فيقتل دنكان وابنيه ! وتحرك ثعبان قلبه وعرف مكبث معنى ذلك التحرك ! » يلاحظ الحضور تغير وجه مكبث فيسألونه عن السبب ولكنه يرد عليهم مجيبا بجواب ليهدئهم ويقول فى نفسه

« اذا كانت الاقدار ستولينى ملكا على اسكتلنده فهى كفيلة وحدها بتمهيد طريق الملك. أما أنا فسأقف مكتوف اليدين وللأيام تحقيق ماوعدتنى به

ساروا فى طريقهم . وهدأت العواصف . وظهرت الكواكب البراقة ذات الانوار المنبعثة بالاشعة الفضية الى أن اقتربوا من فوريس . فحياهم الملك واتباعه وقابلوهم بالترحاب . وامتدحوا جميعا مكبث لبسالته وصداقته . ووعده الملك بالنظر اليه فى مستقبل الايام لرفعه الى أعلى درجات الرفعة فقال له :

ـ «لقد زرعتك الآن وسأجنى منك حلو الثمار بعد مجهودات نفسى»

ثم أعلن الملك على الجمع المحتشد أنه سيتخلى عن العرش لابنه الاكبر «مالكولم» الذى أطلق عليه لقب «امير كمبرلند» وسيشرف جنديه الامين مكبث بزيارته فى قصره فى «انفرنس»

وكان مكبث قد أنهكته الحرب فشعر بالتعب عقب سفره الطويل ولكنه رأى أن يسرع الى قصره ليخبر امرأته بوصول الملك . وكان عقله فى أخذ ورد يجرى وراء الامانى عن طريق الآراء الخبيثة الشريرة التى تصحب معها الاعمال الدموية المفزعة !

شعر بضرورة ذهابه ثانية الى الظلمة السوداء . بعيدا عن أضواء . وبعيدا عن نور الكواكب الساطعة فى قلب السماء . فقد أرادت نفسه المظلمة الوحدة و لدجى !

مكبث ليلته راكبا وفى صبيحة الغد أضاءت الشمس بلمعانها الجميل أبراج قصره العظيم فى «أنفرنس»

وكانت تنتظره على الشرافة زوجه «لادى مكبث» وهى تتبخط ذات اليسار وذات اليمين . بينما تقرأ خطاب زوجها. وهى شريكة زوجها ملازمة له فى جميع امانيه المستترة فعرفت ما اختبأ فى قلبه .

وهاهو نص الخطاب :

قابلونى فى يوم النجاح . وتأكدت أن لدى تلك المخلوقات قوى عجيبة نفسية وعلم كبير بمستقبل البشر . ولما أردت مباحثتهم اكثر مما أظهروا لي اختفوا فى الهواء حالا . وقفت أعجب وأفكر وبينما أنا كذلك اذ سمعت على بعد أصوات التحية الصادرة من رجال الملك فأنعم على «بلورد كاودر» فتحققت التحية الاولى التى نطقوا بها! وسوف يأتى الزمن الذي تتحقق فيه التحية الثالثة «أحييك مكبث ياملك اسكتلنده فيما بعد» عند ذلك كتبت اليك ياشريكتي فى الحياة فتسرين بقدر سرورى . وتكونين على علم بحوادث العظمة الآتية . فاكتمى ذلك فى قلبك ووداعا» !

واللادى مكبث زوجة أمينة صادقة لذلك الجندى

الشجاع . ومن الرعايا المخلصين لملكها وأسرته . فقد أحبت زوجها وافتخرت بأعماله المجيدة . وهى امرأة حسنة المعاشرة والمجالسة: امرأة سريعة الفهم قوية الادراك. تجيد المناظرة. والجدال . ولها نظرة بعيدة في الامور .

وهى زوجة متدللة ضعيفة متأنقة ولكنها أحيانا تفوه بكلمات الغطرسة والعظمة . تكره مايثير عواطفها من مناظر الوحشية والدم هذه هى صفاتها وبجمل أخلاقها

عطفت نحو الشر فانتعش فؤادها وتشجعت ! ولكن فعل السوء اذا قضى أمره أحاطها الخوف ووبخها ضميرها! ماذا ما استيقظ ضميرها لم تعرف روحها هدوءا أو راحة وينقلب نومها خوفا !.

فلما استعرضت فى مخيلتها فكرة قتل الملك — تلك الفكرة الخبيثة — رأت سوء عاقبته ملازما لها — ثم أعادت قراءة خطاب زوجها وفكرت فيه بما تدركه من ذكاء المرأة . وكيف تصل الى رغبتها وأمنيتها !

تقدم رسول اليها يخبرها بقرب وصول سيده القائد

وأخبرها بمجيء الملك « دنكان » لزيارة قصر « انفرنس » وفى الحال رأت بفكرها العميق أن الفرصة فى يدها لقضاء ماتريد نفسها

فرصة غريبة فجائيـة : وفى الحال أرادات ان ينقلب جنسها وتمتلئ شجاعة كافية من رأسها لقدمها فيقسو قلبها. فلا تحولها طبيعتها أو أميالها الى تحويل غرضها . وتقول:

« تقدم أيها الظلام ـ وحط نفسك بظلمة جهنم لتخفى ذلك العمل الذى سينفذ .. حتى من تلك المدية التى ستقوم بعملها ولا تدع شعاعا واحدا يخترق الحجاب الأسود الذى يغطى الأرض النائمة كى لايكتشف أمرنا وغرضنا القتال»

يظهر زوجها فى الحال أمامها ويحمل معه خبر قدوم الملك . فيقول : « سيأتى الليلة ويتركنا غدا »

فتنظر اليه امرأته وتتساقط كلماتها كالحمم النارية الي عقله أبدا أبدا ! ! سوف لا يري الغد عودة دنكان من هذا القصر. فانه ظاهر علي وجهك يازوجي أن هناك أفكار تملأ صدرك وأياك أن تظهر شعورك للعالم فلتخدع الدنيا . وضع وجها

علي وجهك يوافق الحالة التى له . استعد لمقابلة مليكك بوجه باش اذا ما وصل . أظهر وجهك كما تظهر زهرة الصيف المختفى تحتها ذلك الثعبان السام . وهناك أشياء كثيرة لمقابلة الملك وترتيبات أخري للوصول الى غرضنا هذه الليلة وسأكون أنا مسئولة عن القيام بها . وبعد ذلك نهنأ ونمرح ونتمتع فسنكون ملوكا بسبب مأسوف نقوم به الليلة

سار اليوم الطويل على مهل . وبينما كان القمر يرسل أشعته على ابراج القصر القديم وشرفاته . كنت تسمع صدي الطبول يدوي كالرعد ثم ترى أطرف الرماح والسيوف تلمع وهى تقترب شيئا فشيئا

وكان موقع القصر جميلا وهواؤه يشفي المريض تحيطها الاشجار من نواحيها التى اتخذتها البلابل والعصافير مساكن لها بعيدة عن نعق البوم بعيدة عن حوادث الخيانة والخوف والموت . والآن وقد خيم الظلام عليها الا من بعض جهاتها حيث وضع في كل منها شعله او شعلتان من النار لتنير الطريق

أمام جيش الملك « دنكان » ذلك الملك الهادىء الوديع المسالم وكان يحادث بانكو الذى ركب على يساره قائلا : ما أحلى موقع ذلك القصر ؟

وعند ما دخلوا القصر قابلتهم لادى مكبث فتبادلوا التحيات اللائقة . ورحب بها الملك بلطفه وبما لاقاه من أخلاص مكبث . ثم عبر المدخل العام . ذلك الباب الذى يمر من تحته ثانيا وبعد قليل أولمت وليمة فخمة لم يحضرها مكبث بسبب مرضه . والحقيقة أن أفكاره عن قتل الملك كانت قد أخذت مكانا من رأسه فقر رأيه عليها مع عدم قدرته على التنفيذ : يقتل ملكه وأحد أقاربه وضيفه . والتى عمت عليه فضائله ورحمته . فعاد الى صوابه وقال فى نفسه لا . لا . لن أقدم على هذه الخيانة . خيانة القتل . لماذا أقدم على قتله ؟ ليس امامى سبب ظاهر سوى الطمع ! وكل صوت يقوم محتجا على فعلتى . ويكتسح الشرف الذى بنيته بيدى أمام غضب الشعب »

أتت اليه زوجته وهدأت روعه وطمأنته ثم ضحكت

على خوفه من ظهور الحقيقة وكشف الستار عنها :
فقالت له :

أمر بسيط . فأسقى حارسى غرفة نوم الملك الخمر العتيق وأترك لهما العنان فى الشرب . فتلعب المدام برأسيهما فيتركان الحراسه . ثم يتغلب عليهما سلطان النوم . وبعد ذلك يسهل الامر لتحقيق غرضنا ونثبت عليهما تهمة قتل الملك بدهن أيديهما بالدماء الحمراء . ثم تغمس خنجريهما فى الملك ! فمن بعد هذا يشتبه فى مكبث أو يتجاسر ويلقى التهمة عليه ؟ كل مانحتاج اليه هو العزم . العزم »

ثم تأخذ فى تسميم عقل زوجها بحلاوة العاقبة . وتصور له نفسه وهو على العرش يحكم ويأمر وينهى والكل عبيده المطيعين ! فيخضع لها المسكين وتلهب نار قلبه !

فى نصف الليل ! سكون عميق لايعكره سوى حفيف الشجر أو أفكار سيىء تجول فى رأس صاحبها . أو عواء ذئب ينهش فريسته . أو قاتل مجرم يطعن آخر من بنى جنسه !

سطعت أنوار احدى المشاعل فى فناء القصر ثم ظهر « بانكو» وراؤه « فلينس » يقصدان غرفة نومهما . وكان بانكو ثقيل الرأس يشعر بحدوث شيء ! ثم رأى «مكبث» فناداه وأعطاه ماسة ثمينه هدية الملك الى اللادى مكبث . وأخذ كل منهما طريقه الى مخدعه . ولكن عاد مكبث ثانيا ومشى بخطوات هادئة قاصدا فناء قصره المظلم

زادت ظلمة الليل . وسمع نعيق بومه . تبعه صهيل فرس . ثم اشتدت الرياح واهتزت الاشجار كمدا وحزنا

وقف مكبث ينظر الى خنجره اللامع بعينين يتصاير منهما الشرر . ! ثم قصد مخدع الملك فشاهدته امرأته يزحف على مهل كالمجرم . فانسل كالثعبان ولم يظهر ! ووقفت هى تنتظر النتيجة ! ثم سمعت صيحة الملك تبعها جلال الموت وهدوئة . ثم خرج مكبث وبيده اليمنى خنجر يتساقط منه دم الملك . باليسرى خنجر آخر كزميله الأيمن . خرج أصفر الوجه شاحب اللون . وقد حملقت عيناه وظهر كالمجنون .

لقد طعن الملك ...

وقد همهم أحد الحارسين فى نومه بينما كان مكبث يسلم طعنته المميته قائلا « اللهم ارحمنا » فرد عليه الآخر: « آمين » فعند ماسمع القاتل هذه الهمهمة دوى صوتهما فى أذنيه فخاف وأسرع الى الخارج . ولكن استمر الصوت يقرع فى أذنيه وعقله :

« قم واستيقظ . لقد قتلت سلطان النوم الهادئ . فلن تنم بعد يالورد « كاودور » . ولن تنم بعد « يامكبث »

أرتعدت مفاصله وصار كالطفل ذلك الجندى الباسل فوقف أمام زوجته بعد أن تشبع عقله بخيالات القدر التى أصبحت تهدده . ظنت فى بادئ الأمر أن قلبه لم يشجعه على ارتكاب الجريمة . ولكنها لما علمت منه أنه نسى أن يلطخ أيدى الحراس بالدماء الملكية الطاهرة . فاختطفت منه الخنجران واندفعت الى مخدع الملك . ولما عادت كانت يداها ملوثتين بالدماء لانها صبغتهما بدم الملك المتدفق بجانبه ولطخت به وجهى الحارسين البريئين لتثبت عليهما

جريمة القتل ؟

يفزعهم قرع متوال على بوابة القصر الخارجيه فيستيقظ مكبث وامرأته وهما يظنان أن ربهما ينادبهما لينالا جزاء ماجنته أيديهما .

هب نسيم الصباح يحمل معه زوبعته وقد تغير شكل السماء واحمر لونه . وفى هذه اللحظة وقف أمام بوابة القصر اثنان من الاشراف وكان خادمها يقرعان الباب الضخم . ولكن الحارس العجوز نائم لا يشعر بذلك الضجيج الا فى آخر لحظة . فقد استفاق من نومه العميق وقام ببطء ثم بحث على مهل عن المفاتيح وهو يقول فى نفسه :

« ماهذا ضجة . ضجة . ضجة »

ولم يفكر أبدا أن يحادث من يقرع على الباب خصوصا وقد هاجت خواطرهم وكادوا يكسرون البوابة ويهشمونها تهشيما !

قام مكبث بنفسه ولم يتقدم نحو بوابة القصر حتى رأى أمامه «مكدف» «ولينوكس» يعبرانها . وكان الملك

قد أمرهم بأيقاظه فى ساعة مبكرة . بعد أن قضوا ليلتهم وهم أيقاظ بسبب العاصفة

قصد (مكدف) مخدع الملك ولكنه لم يتقدم خطوة واحدة بعد العتبة اذ تراجع الى الوراء بعد ماوقعت عيناه على ذلك المشهد الاليم . مشهد الدماء المتجمدة حول جثة الملك الهامدة !

هناك رقد دنكان . وبشرته البيضاء ملطخة بالدماء وانتثرت جروح عديدة على جسمه

أفاق الحراس وفزعوا عند ماروؤا ماروؤه ! فأن وجوههم وأيديهم غطيت بالدماء وألقى على وسائدهم خنجران.

وقفوا كمن أصيبا بالجنون ثم تحول (مكدف) وصاح.

أسرع مكبث اليه بعد أن جرد سيفه وطعن به الحراسين ! ولحقت اللادى مكبث بهم واختلطت معهم للاستفساو عما حدث ولكنها بعد ماسمعت قصته موت الملك تظاهرت بالاغماء وارتمت على الارض !

أجمع الحاضرون على أن الجناة هما الحارسان ! ولكن

(مالكولم) (ودونالبين) اشتبها فى مكبث وأنه ملم بأسرار الحادثة أكثر مما يتظاهر به واعترف به .

خافا بأسه فهربا ، أحدهما قاصدا انكلترا والآخر ايرلنده ثم أسرع « مكدف » ممتطيا جواده مسرعا الى قصره فى « فيف »

لاأقارب ولا أهل الملك بعد الآن ! سوى مكبث فهو أحق بالملك يتوج يجلس على العرش عن طريق الخيانة وأسالة الدماء . وها تحققت نبؤه الاشباح الثلاث. وتحصل على أمنيته !

ولكن فكره كالبحر الهائج الذى لايستريح . فقد اشتبه فيه الخاص قبل العام . ثم لاينسي تتمة النبؤة . ذلك أن أولاد «بانكو» سيخلفونه على العرش . يخاف صحبة زوجته فيتركها وحيدة غارقة فى بحار تأملها ويقول فى نفسه « أأمهد لأبناء بانكو طريق الحكم ونلوث أيدينا بالدماء البريئة ثم يخلفوننا . هذا لايكون »

وعلى ذلك يقر عزمه على اكتساح بانكو وفلينس من طريقه .. يخطو أرض غرفته ويروح ويغدو قائلا لقد حيوه ياأب الملوك ! .

يفكر . ويعمل ويجهد قريحته فلا يجد حلا لمسألته سوى التخلص من بانكو وابنه بقتلهما

ولكن كيف ذلك ؟ كيف يتخلص ممن بهما بهما ؟ ذلك أنه أعد وليمة فاخرة يدعو فيها الامراء والنبلاء وأشراف البلاد ومن بينهم «بانكو» و «فيلنس» وكان الطريق الوحيد الموصل للقصر يخترق غابة كثيفة الاشجار . فاتفق مع ثلاثة من المجرمين القتله أن يفتكوا بالأب وولده . ثم يعودوا اليه ويخبروه بموتهما .

قتل الأب . ونجا الابن ! فهرب وكانت سلالة ملوك عظماء حكموا اسكتلنده . وأخيراً أتحدت المملكة القديمة مع انجلترا تحت راية الملك « جيمس » الاول

وهكذا صحت نبؤة الاخوة الثلاث !

يتظاهر مكبث بالقلق عند مايتأخر بانكو وابنه

ولكنه كان فى الحقيقة شغوفا بالاطلاع على نتيجة القتلة ولكن يملكه الغيظ عند مايعلم بهروب « فلينس » !

امتلأت القاعة الكبرى بعظماء المدعوين . وأضاءت الانوار البهيجة فتعكس على دروع القواد . وتلمع الجواهر وقطع الماس وكثرت كلمات التحية والاحترام عند مايقوم الملك أو يجلس أو يتكلم .. وبينما هو ذاهب لاخذ مكانه على كرسى العرش يرى رجلا تحفه الجلالة والهيبة والوقار يشير اليه بيده بازدراء وامتهان ! فصاح مكبث وهلع فؤاده فتضطرب الضيوف . تهدئهم « لادى مكبث » ويخلو الكرسي ويختفى الشبح الجالس عليه . فيتقدم نحوه مكبث ولكنه يتراجع الى الوراء مذعورا وترتعد شفتاه ويلاحظ الحاضرون جميعهم ماحل به ويفهمون الكلمات التى نطق بها فيقومون الى قصورهم ويرجعون والى بلداتهم يعودون ويأخذ بعضهم جيادهم ويسرعون بها سالمين الى انكلترا ويفكر فريق آخر فى كلمات الملك ويحللونها

ويضل مكبث طريق السلامة . فيقضى لياليه وهو

حائر تفزعه الأحلام المزعجة ، وتتسلط عليه الاوهام المخيفة ويتصور أشباحا اينما رحل . فلا يهنأ له بال ولا يصفو له حال .

كذلك كانت هى حالة امرأته !

تخلى عنه أمير بعد أمير ومخلص بعد مخلص . فيصير وحيدا . وفى إحدى الليالي يحمل اليه أحد رسله خبر اتحاد مالكولم بقوات لوردنور نمبرلند أحد أعيان الحدود . وهو محارب باسل . وجيوشها تتقدم الى اسكتلندا بمساعدة ادوارد ملك انكلترا ،

وهو فى هذا الضيق يلجأ الاشباح الثلاث للهداية بعلمهن والوقوف على مستقبله المظلم أو المنير فيعثر عليهم فى مغارة مظلمة .

فسألوه هل يود ان يقف على سر مستقبله منهم أو من الارواح الخبيثة . فطلب استشارة اسيادهم الارواح وفى الحال ظهرت عدة أرواح وحذرت الملك

وكانت الأولي عبارة عن رأس مسلحة أمرت مكبث

بأن يحذر جانبي « مكدف »لورد فيف

وكانت الثانية طفل ملطخ بالدماء فأثبت انه ليس هناك مولود من امرأة سيلحق الاذى بمكبث

وكانت الثالثه طفلا متوجا وبيده شجرة . ثم قالت

كن شجاعا . معجبا بنفسك . فخورا لا تعتبر أحدا ممن يغضب ويزمجر حنقا . لا تلتفت لمن يكيد ضدك . من يقدر على محاربة مكبث ؟ لا أحد ! حين تتحرك الغابة الخضراء . غابة برنام وتترك مكانها . وتسير ضده الى تل دونزينان !

يفرح مكبث لان تحرك الغابة ضرب من المحال . ثم رأي أمامه ثمانية ملوك يمرون أمامه فى احتفال أو شبه استعراض . وقد كانوا ملوك اسكتلنده وبعضهم حمل كرات عديدة او عدة صولجانات أشارة الى البلدان التى خضعت لكل منهم . وتبعهم وكان يشير اليهم باصبعه القائد بانكو المقتول . عند ذلك يندم مكبث لفرار ابنه فيلنس وهروبه

من القتل !

ولكنه شاعر الآن بمزيد الفرح لان مملكته تأسست على دعائم ثابتة ! « لكنها دعائم القتل والخبث والخيانة » فيقول فى نفسه :

كيف تتحرك الغابة بأشجارها الضخمة . وتنتشل جذورا من أرضها ؟ لتصل الى قصري ! هذا محال ! هذا محال ! « لقد طمأنونى بحديثهم الحلو بارك الله فيهم ! لا يضرني مولود امرأة ! أوجد فى العالم من هو ليس مولود امرأة

ولكن مكدف لورد فيف . ذلك المحارب الغدار . أتى الى العالم عقب حادثة مؤلمة مؤثرة انطبق عليها ذلك الشرط : شرط لا يعلمه مكبث ! فلما أوفد مكبث اليه جماعة من القتلى للفتك به هرب كما هرب من قبله مالكولم وفلينس ! ولكن القتلة الاشرار ينقمون من زوجته البريئة وأطفال الصغار . وكانت الام تحادث أطفالها وأحدهم يسألها :

« أمى . أصحيح كان والدى خائنا ؟ »

ـ « نعم قد كان كذلك »

ـ (وما معنى كلمة خائن ؟)

ـ (معناها: أن تكون مخادعا وكذابا)

ـ (اذن فكل مخادع وكذاب خائن !)

ـ (نعم كل واحد . وهو يستحق الموت)

(تحكم على زوجها بالخيانة لانه بعد عنها وهى لا تعرف سبب بعده وأنه يدافع ويجاهد فى سبيل بلاده)

والآن مكبث فى أشد حالات الجبن يقضى ساعاته مفكراً وحيدا . متعطشا للدماء . يبطش بسيفه كل من اشتبه فيه . فتخلى عنه كما قلنا أصدقائه القدماء .

ولم تكن اللادى مكبث ناقل منه أوأهدأ من زوجها حالا . فقد آلمها تأنيب ضميرها . وكانت أوقاتها منفردة فى غرفتها .

تمر الايام عليه وهو خائف ولياليه وهو ساهر . لإنه لم يذق طعم النوم بعد جنايته . فأنه لما قتل دنكان قتل سلطان النوم معه وعلى ذلك أصبحت الساعات الطويلة

السوداء شبحا مخيفا أمام مخيلته . كان يمنى نفسه بالموت . لانه لم يقدر بعد على تحمل أكثر مما تحمله وأكثر مما قاساه . وأكثر مما شاهده فى الاحلام . فكان يقول :

خذنى أيها الموت لا أعرف راحتى وسلامتى . ولان أقضى ساعاتي بعيدا عن أذى النفس لى . لا كون مثل دنكان فى قبره لايتناوله الاذى أو السم أو الضغينة أو الحقد .

امتلأ عقله بالعقارب السامة التى تلدغه . وكل ماقام به ابتدأ يصيبه . فكانت السحب السوداء تتجمع على رأسه تلك السحب السوداء المهددة المميته . فعرف ان صاعقة ستنزل على الارض فتصيبه وتفتك به .

فى انكلترا أنحدت جيوش مالكولم ومكدف وسيوارد العظيم لايقل عددها عن العشرة آلاف مقاتل ومحارب يسيرون قاصدين الحدود وفى صباح يوم وصل خطاب الى (لورد فيف) وفيه خبر هجوم اتباع مكبث على قصره وموت اللادى مكدف وأطفاله وخدامه وأتباعه

عند ذلك يثور مكدف وتدفعه عوامل الانتقام . ولكن ذلك الخبر السيء يحزنه ويكمده فيقف حائرا امام « روس » الذى أتي اليه بالخبر فيسأله

ـ « أطفالى الاعزاء ؟ تقول أنهم قتلوا ؟ عن آخرهم ؟ ألم يتركوا لى واحدا ؟ آه . تباً لهم ! حتى زوجتى قتلوها

ـ « نعم كل من فى القصر يا سيدي » !

فيقترب منه ما لكولم ويقول .

« هدىء نفسك ـ ودع انتقامنا الفظيع دواء وعلاجا وبلسما ناجعا تشفى احزاننا لذه »

ـ « لا تقل هذا الكلام يا ما لكولم . ولا تحدثنى عن الراحة والبسلم ! ليست لك أطفال . فماذا أنت تفهم ؟ آه أيها الشيطان ! تقتلهم عن اخرهم ! »

ـ « اصبر . أيها القائد عليك ان تقابل ذلك الخبر السيء بشجاعتك »

ـ « نعم سأتغلب عليه حالا . ولكنى أشعر به كظل انسان يشعر . كان لى أولاد وبنات وزوجة وأصبحت

ولا مؤانس معى . ألم تقدر تلك القوة الالهية من صد كيد الاشرار ؟ فتنجيهم لى . أنهم قتلوا من اجلى أنا ذلك المخلوق الحقير الذى لا قيمة له ! أى ذنب جنوه ؟ سوى الكراهية التي يحملها الظالم في قلبه من أجلى ! سامحهم الله وغفر لهم »

ثم مسك ما الكولم يد صديقه . وقد تذكر موت أبيه . تلك الميتة القاسية . فيتأثر ويقول

« ان كلمانك هذه تحمل معنى ساميا . فلنسرع الى الملك أدوارد لأن جيوشه على قدم وساق مستعدة للكفاح مع جيوشنا . هلم بنا اليه نودعه الوداع اللائق بجلالته . وها هى قوة الظالم تتدحرج وتتساقط وستزول تماما وتبقى أثرا بعد عين . فسيعاوننا الله عز وجل ويمدنيا بقوة الصمدانية أشرح . وليطمئن بالك من هذه الجهة . فان سحابة صيف عن قريب تقشع »

* * *

وتقدمت الجيوش . وساروا مسافة بعيده حتى نصبوا خيامهم وسط الليل . بقرب غابة برنام العظمية

وراءوا عن بعد قصر مكبث القاسى القلب يتلألأ بالانوار

بعد موت الملك دنكان لم تذق اللادى مكبث طعم النوم دقيقة واحدة . فأصابها ألم فى رأسها لم يفارقها فى يومها أو ليلها فكانت تشعر كأن تاج من الحديد المحمى وضع عليها . وكانت تحس بتآكل عقلها كما صب عليه حامض

وبذلك فارقتها الراحة والسلامة وبعد عنها النوم والحب وضعفت ثقة الزوج بها فأصبح لا يأخذ برأيها أو يستشيرها. هكذا كانت تمضى الليل ساهرة . وأصبحت تخاف الظلمة وأمرت بأضاءة الانوار فى جميع ساعات الليل وفي كل جهة من القصر تحل بها فاذا ما أحل بها التعب رقدت على فراشها وأخذت فى النوم تستعرض أمامها الاشباح المفزعة للتى تمر أمامها حتى يمر منظر الجريمة وارتكابها الشنيع وتتمثل أمامها الحادثة بتمامها ! فتقفز قائمة وتجرى فى مخدعها وهى تصرخ وتستغيث . وتشم بديها التى كانت ملطخة بالدماء فى تلك الليلة البعيدة !

فكانت تعوي وتصرخ : «هاهى رائحة الدم لا تزال:

أن روائح العرب وعطوراتها لاتبعدها عن يداى : آه آه آه ! »

ثم تقف صامتة وعيناها مملقتان وتقول :

« الي الفراش . الى الفراش. اننى اسمع قرعا على الباب هلم الى . هلم الى . تعالى . تعالى ناولنى يدك . ما كان كان الى الفراش . الى الفراش الى الفراش

فتقترب منها خادمتها وتهدئها ثم ينشر خبرها في القصر وفى ذات ليلة يراقبها طبيبها الخاص . الذى استلم وظيفته من يومين. وفى ثالث ليلة رآها تقوم وتسير وتروح وتغدو وتنظر الى يديها

وكان مكبث جالسا في غرفته من القصر المحصن وقد اختار غرفة أمينة تحوطها الاسوار والقلاع العالية واقفلت البوابة العظيمة ونزع الجسر الموصل للداخل : وكان ساهرا خائفا . وجاء اليه المراقبون والحراس يخبرونه بأن جيشا عظيم العدد أخذ يقترب من القصر وهو علي أهبة الهجوم . وكان أرسل اتباعه ليجتمع حوله عدد غفير

بدافعوز عن القصر . وينضمون تحت لوائه : ثم يدخل « سيتون » (Syton) كبير حراس القصر منتظرا أوامر الملك ليعمل بها الجند .

ثم يلتفت الى طبيب زوجته ويساله :

« كيف حال صحتها الآن أيها الطبيب ؟ »

فيرد عليه قائلا :

ليست بالمريضة وليس عندها أوجاع جسمانية ياصاحب الجلالة ولكن عقلها تعب وبه شيء من الفزع . تصيبها أدوار فجائية فتتصور وتتخيل حوادثا وأفكارا وخيالات . وكل هذه تقف حجر عثرة فى سبيل نومها

فيجيبه الملك :

يجب عليك أن تشفيها مما ذكرته . أين مهارتك ؟ ألا يمكنك أن تهدئ نفسا حل بها التعب ؟ أليس فى قدرتك أن تبعد عنها تلك الذكرى العميقة . وتعطيها دواء يشفيها ويسبب لها نسيان ماتتذكره من الاحزان ؟

ولكن الطبيب لايقدر أن يسبب لها الشفاء فيبين

للملك عجزه فيغتاظ ويقول :

اذن فارم بلا سمك وأدويتك فهى حقيرة. انى لن أطلب النجدة بها بعد الآن . الا يمكنك ان تجهز لى علاجا يشفى تلك المملكة .وتكتشف مرضها العضال . لقد تخلوا عنى . تركونى هنا وحيدا . الا يمكنك ان ترجع بها الى عهدها السالف . عهد الخير والاتحاد . فتعلوشهرتك ويذيع اسمك الا يمكنك ان تجد دواء يطهر البلادمن أهل الجنوب ألم تسمع بقربهم منا ؟

ـ « نعم ان ترتيباتك أيها الملك دلت على انهم يقتربون »

ثم يقول فى نفسه : « آه لو خرجت سالما من ذلك القصر فلست بداخله أبدا طول عمري »

تحت ظلال أشجار غابة برنام العظيمة عسكرت جيوش مالكولم. وقد تقلد كل جندي بيده اليمنى غصنا من الشجر الاخضر كي لا تظهر حركاتهم وتختفي عن أعين الناظرين فلما تحركوا جميعا كان يخيل للناظر ان الغابة بأسرها تتحرك

نحو « دنزينان »

أصاب الحراس العجب والحيرة عندما وقع نظرهم على الغابة المتحركة . ذاع الخبر بين الجنود فهاجوا وماجوا حتى قام مكبث من مكانه وقد لعن الخبر بعد أن طير رأس مخبره ثم صاح مذعورا للاستعداد

وبينما كان يصدر أوامره للدفاع عن القصر سمع صياحا عاليا وكان صياح نسوة القصر فتراجع مكبث الى الوراء وسأل (سيتون)

ـ (ماهذا العويل والصياح ؟)

فيذهب سريعا ويأتى بالخبر قائلا :

(سيدى الملك . لقد ماتت الملكة)

فيرتعد مكبث ويقول

ـ (كان واجبا أن تحدث وفاتها بعد اليوم . فيكون مامنا متسعا من الوقت لهذه الاخبار . ولكن اليوم يتلو اليوم وتزحف الايام وراء بعضها . وننظر نحن الى الغد مؤملين أنه سيكون أحسن من الامس . ولكن ! : تمر

وتمر حتى ينتهي أجلنا . وما علينا الا أن نقضى حياتنا كيف كانت .

وليس وجودنا في هذه الحياة سوى خيال سائر و بقاؤنا الذى يشغل دوره وهو على المسرح فاذا انتهى خرج لا يعى شيئا بعد أبهة الملك وما جمع حوله من حشم وأتباع. حياتنا كقصته في فم مجنون تخرج منه وهى تحمل شيئا من الاهمية وتصحبها ضوضاء فاذا أتينا لآخرها كانت قصته لا معنى لها) .

ثم يدخل رسول فيسأله مكبث :

ـ (وماذا تريد أنت ؟)

ـ (أريد أن أحكى على مسامع سيدى الملك خبر انتقال الغابة)

ـ (لقد سمعت ذلك فهل هذا صحيح ؟)

ـ (نعم ياصاحب الجلالة . كيف أكذب عليكم ؟ أنها تتحرك ورأيتها . رأيت الغابة تتحرك)

ثم يصرح مكبث صرخة تدوى فى أرجاء القصر

للاستعداد والدفاع

وتأخذ المعركة فى الخارج فى الاستعداد بين جيش العدو وفرقته الضئيله المدافعة عن حصون القصر . وأقتحم هو صنوف العدو وبده سيفه وابيدى شجاعة الحروب التى عرفناه بها بعد أن امتلأ غيظا وحنقا . فكان يضرب يمينا ويسارا . فقتل سيوارد الصغير ولكنه أرتعد عندما رأى مكدف يتقدم أمامه لان تذكر فى الحال ما قالته الارواح بأن يحذر جانب لوردفيف

ولكن مكدف عزم فى نفسه ان تكون ضربته هى القاضية على حياة ذلك الخصم الجبار فاستعد لمنازلته . ثم تقدم مخترقا صفوفه

صاح مكبث قائلا « انه لا يهاب أبن امرأة أبدا » ولكن يظهر انه عرف شيئا عن حياة مكدف خصوصا بعد ما كان على قيد خطوة منه

يتقدم قائلا

« سوف لاأعمل كما كان يعمله هؤلاء الرومان القدماء

فأميت نفسى بخنجري عند ما أعلم أن الدائرة ستدور على فما دمت أرى أمامى عدوى فأننى ادافع عن حيـاتي وأقتل من يقابلنى بخنجرى »

فيسمعه مكدف ويردعليه

« اذن تقدم واجهني أيها الشيطان

فيقول مكبث

« سأعرض عنك وسأجتنبك أنت . هـذا النهار . فاذهب من امامى فلقـد انتقمت من أهـل بيتك جميعهم وكفى »

ولكن مكدف لا يعرض عنه فيجيبه

« لم أجىء للمباحثة والمجادلة ولكن جئت للقتـال . فسلاحى سيتكلم عنى أيها الممقوت للعين

ثم يقتتلان مدة طويلة بغير نتيجة فيقول مكبث

« تحاول عبثا، فسوف لا تصيبنى بضرر أو أذى ، اذهب وحارب أعداء يجرون ويفرون أمامك ولـكنني ! فروحى محفوظة وجسمي ممى ضـد كل رجل ولد من ظهر أمرأة

— لاتقل هذا، روحك محفوظة ؟! لاتؤمل في النجاة اسأل تلك الارواح الخبيثة التى كانت تستخدمك تحت تأثيرها، يقولون لك أن مكدف لبس ابن امرأة بالمعنى المألوف

فيرتعد مكبث ويقول بصوت يهتز :

«لعنات الله عليك وعلى ماتقول، لقد أثر ذلك في قوتي وشجاعتى وزاد خوفي، فمن يصدق تلك الارواح الخداعة بعد الآن، وبعد ماقالوه له من الكلمات ذات المعنيين.. آه، وماذا بعد ! سأترك ميدان القتال

«ماذا أيها الجبان، ستقع فى أيدينا وسنمثل في جثتك أمثولة لغيرك للعظة والعبرة، والله ان عزمت على ذلك فسأربطنك حول شجرة لتنظر اليك الجموع المحتشدة ويشيرون اليك بأصابعهم ويحتقرونك ثم يفوهون بازدراء « هاهو الظالم » اخضع»

فيجيبه مكبث

انى لاأخضع لولد صغير ابن دنكان ولكننى سأستمر

في القتال حتى ينتهي الامر ولعنة الله تتساقط على من يبدي الاستسلام للخصم »

* * *

لاتطول ساعة النزال فيموت مكبث ويفصلون رأسه عن جسمه ثم يضعونها تحت قدمي مالكولم الذي توج فيما بعد ملكا على اسكتلنده في حفلة جمعت قواد الجيش وأعيان البلاد ونبلاءها فيهتفون قائلين :

« ليحيى الملك »

كلمة عن تاريخ اسكتلنده

منقولة عن الانجليزية بقلم محمد رأفت جمالى

ان قصة مكبث تظهر كأن وقعت حوادثها في بلاد اسكوتلنده اثناء النصف الاول من القرن الحادى عشر، ولهـذا الحين من الدهر فى تاريخ اسكتلنده ميزه خاصة وكبير من الاهتمام فى التاريخ الاسكتلندى ولما كان بعض من أشخاص القصـة وقليل من فقراتها يتعذر على غير الملم بتاريخ هـذه الاقطاعة فهمها جيدا دون أن يلم بعض الالمام بالتـاريخ الاسكتلندى القـديم فيحسن أن نمـر سراعا على الحوادث التى سبقت الوقائع المذكورة فى القصة التى أمامنا والتى تستحق أكبر قسط من العناية

لم تكن اقطاعة اسكتلنده دائما كما نعرفها الآن اقطاعة تسكنها أمة متحدة تعيش فى أقليم معروف محدود الحدود ولم تكن فى القرن العاشر الميلادى معروفة بهذا الاسم التى تنعت به اليوم

ولقد كانت فى عهدها الاول تتكون من قبائل متفرقة تمت لجنسين أو ثلاثة من الاجناس فاذا أراد الباحث المدقق أن يقف على حقيقة مايجرى فى ذلك الزمن الغابر لوجد فى ذلك صعوبة كبيرة لأن حوادث هذا الزمن القديم مبنية فى الغالب على التقولات التى لانصيب كبير لها من الصحة

* * *

عند أفول القرن السادس كانت الحروب بين تلك القبائل لاتزال نارها متأججة ومع ذلك فقد أتحدت هذه القبائل المتفرقة حتى أنه باستطاعتنا أن نقسمها الى أربعة اقسام متباينة يحكم كل قسم ملكه الخاص به فالبكتيين (Picts) أحتلوا مساحة كبيرة من أرض المملكة وكان أقليمهم يمتد من فورث حتى الساحل الشمالى وكان من بينهم قبيلة منعزلة تسكن (جلووای) أما الاسكوتيين التى نزحوا من (اسكتيا) ـ ايرلنده الجديدة ـ فسكنوا أثناء القرن السادس فى (داريادا) وهو يتكون من الاقليم

الذى يسمى الآن (أرجيلشيم) والجزر المجاورة أما الانجيليين الذين بعد أن أستولوا على الساحل الشمالى الشرقى لبريطانيا الجنوبية انتشروا شمالا حتي احتلوا كل الاراضى التي بين الجمبر والفورث بما فى ذلك لوثيان ، أما البريتونيين أو البريطانيين وغزاة الانجيليين فاحتلوا الاقاليم الغربية والشمالية فى كامبريا التى تتكون منها حديثا كمبرلاند ووادى الكليد .

لم تنقطع الحروب فترة بين تلك الممالك الصغيرة ولم تطفأ نارها ومن المتعذر أن يتفق على حدود معينة لكل مملكة منها وتتبين هذه الصعوبات اذا القيت نظرة على الخريطة بل تستطيع بوجه اجمالى أن تعلم المساحة التى كان يحتلها كل قسم

ان الميزة التى ينفرد بها العصر السابق لحوادث القصة هو الارجح العصر الذى اتفق فيه القبائل الاربعة فاتحدوا تحت حكم ملك واحد وحدث ذلك بمرور الزمن حدثت فيه حوادث لاحاجة بنا لذكرها فى هذه العجالة ، أدت لان

يحكم البكتيين والاسكتيين الملك (كنث ماكالبن) الذى اتخذ (سكون) حاضرة وبعد مضى ما يقرب من القرنين أى فى سنة ١٠١٨ طرد مالكولم الثانى بعد أن انتصر فى (كارهام) ، الانجليين من لوثيان وفى السنة نفسها نودى به ملكا على جميع أراضى اسكيتا الجديدة أو استكلندة ومن هذا الوقت نعتت استكلنده بهذا الاسم .

ولقد ساعدت الظروف أن يتم هذا الاتحاد بسرعة كبيرة وذلك بسبب غزو عدو خارجى للاقطاعة مما أدى الى توحيد الجهود ضده. وفى أواخر القرن الثامن ابتدأ الدانيون والنرويجيون غزو شواطىء بريطانيا وفى القرن التالى كبر شأن هذه الغزوات حتى أصبحت خطرة فاستولوا على اركنيز والجزائر المجاورة للشاطىء الشرقى وهكذا استمرت غزواتهم ومهدوا السبيل حتى اتموا الاستيلاء على أراضى شمال بريطانيا . وهناك آثار لغزوتهم فى أراضى الفيف وفى كل بقعة على الشاطىء الشرقى ولقد نالت المقاطعات الشمالية والغربية شرا مستطيرا ولقد أرهقت هذه المقاطعات ارهاقا كبيرا لمدة أربعة قرون يتحكم فيها الاسكندانيفيين فكان من الطبعى إذا أن تتخذ الملوك الاربعة وعلى الاحض البكتين والاسكوتيين حتى يطردوا

العدو المشترك القوى الساعد .

ومن القوى التى بذلها ملكولم الثانى ليجمع كافة المقاطعات تحت حكمه هو ابتكاره طرقا جديدة للقبض على النرمووبين وقد أثر عليهم أثرا كبيرا فامتلك قلوبهم بتزويج أحدى كريماته لملكهم « جارل سجيرد » الذى نادى بنفسه ملكا على الاوركنيين وأستولى على جزء من الاراضي الشمالية ولما توفى جارل عين مالكولم ولده (ثووفن) واليا على سيزلندوكيثتر وكان ذلك خطوة لان يحكم على النرويين وكان المنتظر من هذا الحليف أن يرقب بعين الاهتمام الاراضى المورية القوية الشكيمة التي كانت تتحفز دائما لتخرج من الدائره الملكية وقد فعل .

ولنذكر دواما أن أعتبارات كهذه مكنت ملكولم من أن يخطو خطوة كبيرة الاثر فى اتحاد الامة ولكن هذا الاتحاد لم يكن تاما كما يتراءي لنا بل كانت عبارة عن مملكة مكونة من اقطاعات لامراء هذه الاقطاعات السلطة التامة داخلها فاذا كان الملك الرئيسي قوى الشكيمة تمكن من السيطرة على هؤلاء الامراء وتقليل سلطتهم وقد تمكن ملكولم الثانى من القبض بيد حديدية على هذه الامة المختلفة والأجناس ولما خلفه دنكان وريثه الذي كان ضعيف

الارادة خائر العزم وصفات كهذه توفرت فى ملك يحكم اقاليا متباين الاجناس فمن البدهى ان يعجز هذا الملك عن القبض على زمام السلطة وان يتمكن الامراء من بسط دائره نفوذهم وشق عصا الطاعة على الملك الضعيف ولذا هاجم (النورثمبريين) استراتكليد وحاول النرمويين أن يبسطوا نفوذهم وان يجددوا نشاطهم بغزوات جديده بينا مقاطعة لوشابر - وانما هذه رواية قدماء الكورنيليين بينا فى الواقع ترى أن فطاحل المؤرخين العصريين لا يعترفون بهذا الحادث - كانت فى ثوره جدية تحت زعامة مكدونالد الذى أمد جيشه بقوات أضافيه من ايرلنده والجزائر الغربية وشن الغاره ضد اهل نورمان ورعية دنكن الثائرين عليه وحسب حديث القصة جهز قواده مكبث الجسور، ومورمير الشجاع - ايرل موراي -، وبانكو ويحدثنا بفتتح القسم الاول من القصة حديث غزوتهم التى شنوا غارها.

ومن المحزن أن نسجل أن ضعف مركز دنكين انما يعزى لضعف شخصيته وزاد هذا الضعف يمضى الوقت حتى أعتقد عديد من الناس أن تسنمه العرش كان غير شرعي ولما كان قانون تولية العرش عند البكتيين يباين قوانين الممالك الاخرى التى تقول أن الابن الاكبر أو الابن

الذى يليه هو صاحب العرش عاده ، لان عادتهم انما هى الا يتسنم العرش ذرية الملك السابق وانما يعطي التاج الملكى لشقيق الملك ، ولأخى الملك ولابن شقيقة الملك بالتسلسل اذا لم يخلف الملك المتوفي أخوه أو اخوات أحياء وقت أنتقاله لدار البقاء ينقل التاج لاولاده . ولما كان ملكولم الثاني لم يخلف أخوه أو اخوات عند ما توفي لان وريثه الشرعى الثانى قتل وكان الوارث الثالث شقيقة اسمها جروش واسم نجلها لولاش فكان هذا الاخير هو الوارث الحقيقى لعرش ملكولم الثاني .

ولما توفى زوج جروش الاول تزوجت بمكبث الذى أصبح والد زوج والده ولى العرش وبمقتضى ذلك كان هو ولى الامر حتى يبلغ الصغير لولاش رشده

واذا لم تساعد الظروف مكبث من التزوج بجروش لكانت تمت له هذه الولاية التى اتته عفوا من منازعاته مع دنكن والطعن فى شرعية ولايته .

ولقد حدثونا أنه كان لملكولم الثاني أبنتان ـ خلا الابنة المتزوجة من جارل سيجرد ـ وهما بيتوك ودودا وكانت الاولى الرشيده فكان ابنها الملك دنكن وسرت الخرافة التى تخواها أن مكبث انما هو ابن دودا ويترتب على هذه

النظرية أن دنكن ومكبث انما هما خليفين للملك ولذا فليس لدنكن حق فى الملك أكثر من حق ابن خالته مكبث ومن المهم أن تتذكر هذا التعليل فيظهر لنا جليا نظرة مكبث لعرش دنكن كما تحدثنا بذلك القطعة التمثيلية .

ونختتم هذا المختصر القصير لايام استكلنده الاولى بكلمات قليلة عن حالة اسكتدنيين فى العصر الذى ابتدأت فيه قطعتنا التمثيلية .

انما يرجع فضل دخول اهالى أسكتلنده دين النصرانية الحق للمجهودات التى بذلها القديسين كولومبا وبنجو وكثير غيرهم من المبشرين فلهم الفضل الاكبر فى ذلك وفى حيازتها قسطا وافرا من المدنية. فشرع الاهالى فى بناء منازل بعضها من الحجارة وقسما آخر منها من الخشب ومن اللبن وطبعا كانت هذه المنازل أول عهد مبينة على طريقة غير منتظمة الا أنها كفلت لسكانها راحة السكنى فيها . ولقد كانوا مهرة فى التجارة وصناعة الخشب ونحت الاحجار ولكنهم كانوا قبل كل شىء رجال حرب لا يقعدون عن امتشاق الحسام اذا دعى الداعى لذلك ،وكانوا فى ميدان القتال قساة غلاظ الطباع لا يتطرق لقلوبهم رحمة أوشفقة وكان الجهل فاشيا بينهم بدرجة خطيرة وكان المتعلمون منهم

لهم أسمى مكان . أما الخرافات فكان لها أكبر نصيب في معتقداتهم ولقد كانوا يعتقدون تمام الاعتقاد بالجن وأعمالهم والسحر وضروبه وكافة الخذعبلات التى تسير هذا المسرى كالتطير والتشاؤم

ولاضرب لك مثلا لذلك فانهم كانوا يؤمنون - كما تحدثنا بذلك أساطيرهم - ان القاتل اذا اقترب من جثمان ضحيته فسرعان تدمى الجروح التى فى الجثة ثانية

وكانوا اذا أرادوا أن يمرضوا عدوا لهم مرضا قد يسوقه الى القبر عملوا له تمثالا من الشمع وطعنوه بسيف أو أذابوه وبدهيا أن خرافات كهذه تضحك الثكلى وتثبت أنما هى جنون مطبق ولكنهم اعتقدوا صحتها اعتقادا راسخا وطال اعتقادهم بها قرون عدة وفى زمن شكسبير كانوا يعتقدون فى السحر وأعمال الجن وكانت هذه الصناعات منتشرة أتم الانتشار ؟

محمد رأفت جمالى

شكسبير

بقلم محمد رأفت جمالى

جرت العاده فى الآونة الحاضرة أنه عقب أن تمثل قطعة تمثيلية تلقى اعجاب الجمهور وتصادف التصفيق الحاد

فى أكثر مواقفها ، ان يطلب المتفرجون بالحاح أن يخرج اليهم المؤلف ليعبروا له عن شكرهم وامتنانهم واعجاب كهذا على ما أرى طبعيا ، والان وقد قرأت مكبث وقدرت قيمتها الفنية وعلمت أنها قطعة خالدة وسررت بمواقفها وفصولها وحوادثها

ألا ترى أنك بحاجة أن تعرف القليل عن مؤلفها القديم عن ذلك الرجل الذى ، استنفذ كثيرا من قوته فى كتابتها اعتقد أنك بحاجة الي ذلك ولذا سأحدثك بالقليل عن شكسبير ولن أذهب مذهب الناكرين لشخصيته مجاريا بذلك من يذهب هذا المذهب

تود أن تعرف الكثير عن وليم شكسبير وتود أن تكون ملما بكل صغيرة وكبيرة عن حياته ولكن ذلك لم يكتشف حتى الآن . وأحسب انه لم سيكتشف هذا المجهول لان الكثير يتخبط فى أمر شكسبير .

ولكن ان فاتك الكثير فلا يفلت منك القليل المتفق على صحته وهذا القليل فى حد ذاته هو كمية من المعلومات كبيرة أرى أنك فى حاجة اليها وأرى أن أرتبها واوجزها فى صفحات قليلة فأبدأ بالاهم أوفضله على المهم وأحدثك بما تريد أن تعرفه عنه فى مختصر مفيد فأقصص

عليك الحقائق الهامة عن طريقة معيشته ونشأته ومسلكه

كان والد وليم يسمى جون شكسبير وكان تاجر بذور ومحصولات زراعية فى مدينة أوفن من أعمال مقاطعة استراتفورد . وكان جون هذا موفق فى تجارته وقد تقلد وظيفه عمدة أكبر دائرة فى القرية سنة ١٥٦٨ ووظيفته كبير شيوخ المقاطعة بعد ذلك بردح من الوقت قليل

واقترن بمارى أرون عام ١٥٥٧ الفتاة الصغيرة الوريثة لمزارع سرى من أهالى ولمكوت وهي قرية من قرى ستراتفورد وقدكانت بائنتهامنزلا ومساحة قليلةمن الارض جوار ولمكوت وبذا ابتدأت حياتهما الزوجية سعيدة نوعا ويمكنا أن نقرر انهما شعرا ببعض سعاده وهناءه في بدء حياتهما الزوجية وفى عام ١٥٦٤ انجبت الزوجة وليم شكسبير فى منزلهما الاستراتفوردي وكانت الاسره وقت ولادته فى ميسره من العيش لديها رزق يفيض عن حاجتها وهكذا شب وليم وسط رخاء من العيش وهدوء نوعا ويقولون أنه التحق بمدرسة القرية عام ١٥٧١ حيث تلقى المبادىء الاولية للغة وقليلا من اللغة اللاتينية والقواعد النحوية وشيئا عن الكتابة الانجليزية القديمة ولم يتعلم الفرنسية الا بعد ردح من الزمن

انه من المعتذر ان نتكهن ما هى المواد التى كان يتعشقها وتظهر فيها مواهبه وفطنته ولكن نعلم أنه أجبر أن يهجر المدرسة وهو لايزال فتى صغيرا وعلى ما اتفق عليه فى سن الثالثة من عمره وذلك لان حالة والديه المادية كانت منذ سنتين فى اضمحلال مستمر ويعزى لهذا السبب خروج وليم من المدرسة ليكسب قوته بنفسه ويظهر أن الظروف المادية ازدادت سوء فان الوالد جون اضطر أن يرهن قطعة أرض زوجته على مبلغ يقدر اليوم بما يقرب من ثلثمائه وخمسين جنيها انجليزيا

وبذا قضى القضاء أن يصادم مؤلف الروايات العتيد الحياة وجها لوجه وأن يشعر بمتاعبها ويتجرع مرارة كؤوسها

ولقد كانت مباديء العلوم التى تلقاها نواة طيبة للمستقبل وقد اثرت عليه العوامل المحيطة به أكبر تأثير ففى الانحاء المجاورة لبلدته مناظر طبعية وغابات كثيفة وبيع قديمة وكل هاتيك المناظر اثرت فى فتى كشكسبير شغوف بالعلم محب الاطلاع وظهرت آثارها فى مستقبل أيام فتوته ومن المدهش أن يحدثونا أنه وان كان وليم نجلا لجون ذا المركز الحكومى الكبير في مقاطعة ستراتفورد الا أن الظروف لم تتح له أن يزور بعضا من جماعات التمثيل التى

تؤم مدينة كوفنمترى التى لا تبعد الا ٢٠ ميلا عن منزله.

ومن الغريب أيضا أن الملكة اليصابات شرفت «ايرل تيستر بزيارته في قلعة كنيلورث وطبعيا أن الحفلات التى اقام لتشريف ملكة ، لحفلات تستحق كبير اهتمام سكان الاحياء المجاوره لهذه المقاطعة فيتكلفون المجىء لمثل هذه الحفلات ، وكان وليم اذ ذاك فى سن الحادية عشره من عمره ومن البدهى أنه كان من ضمن من سيسمعون للتفرج على هذه الحفلات ولعل العسر المادى منعه من أن يسعى للذهاب لهذه الحفلات وجزى الله الشدائد كل خير التى منعته من زياره هذه المحافل فأنها أثرت فى مخيلته وفى نظم حياته أكبر تأثير .

* * *

نجهل الكثير عن حياته بعد خروجه من المدرسة ولكن يحدثونا أنه احترف مهنة صبى جزار ولعل ذلك الجزار والده لان هذه المهنة كانت من فروع تجارته. وعقب مرور خمس سنوات على تركه المدرسة عند ما بلغ التاسعة عشره من عمره تزوج من (أنا هاثواى) من أهالى شتوى وهى قرية صغيره من قرى ستراتفورد ولا يزال حتى اليوم بيتها القديم أو بالحرى جزء منه قائم فى تلك

الانحاء وكانت (أنا) أصغر منه بست سنين ولعل صغر سنها عنه كان من سببات أنه لم يسعد فى حياته الزوجية كما ينبغى وبعد مضي ثلاث أو أربع سنوات من زواجه أولد زوجته ثلاثة أطفال ولا نعلم بسبب الذى من أجله هاجر وليم من ستراتفورد قاصدا لندن ففريق ذهب الى أن الدافع على ذلك انما هو لان سعادته الاسريه هى التي اضطرته الي هذا السفر وآخر قال بل أن عداوته مع سير توماس لوسى التى لاكتها الالسن هى السبب وثالث أكد انما السبب فى ذلك ضيق ذات يده وسعيه لاكتساب رزقه ورزق اسرته من طرق قد لا تتيسر فى بلدته وقد يكون هذا أقرب للحقيقة لاسيما ونحن نعلم أن اسرته لم تكن ذات ميسرة وسواء صح التعليل الاخير أو ماسبقه من التعاليل فالمعروف المتداول أنه سافر من ستراتفورد سنة ١٥٨٦

ولا نعرف شيئا يجدر تسطيره فى السنين السته التى أعقبت هجرته ، سوى أنه تمكن فحصل على وظيفة فى مسرح من المسارح اللندنية ولنترك جانبا الاختلافات الكثيرة بشأن المهنة التى أحترفها في ذلك المسرح . بل نقول انه بعد القليل التحق بجماعة من الممثلين باجازة من

ايرل ليستر وبعد ذلك من لورد شامبريان .

وبذا أرادت الايام أن تظهر ماخفى من مواهبه كممثل وجدارته كمحضر وتفوقه كمهذب للقطع التمثيلية وذهب المؤلفون الى أن ذلك انما هو سامالكتب هو بنفسه قصصا وقد كان ماذهبوا اليه ففى سنة ١٥٩١ على ماانفق عليه كتب روايته Love's Labour's Lost وفى العشرين سنة التى أعقبت هذه السنة كتب السلسلة الفخمة من قطعة التمثيلية التى خلدت اسمه فى سفر الادب العالمى

وقد ابتدأت شهرته عام ١٥٩٢ وكان من نتائج هذه الشهرة أن ايقظت فى صدر « روبرت » جرين نار الحسد والحقد فهجاه هجاء مؤلما وشن عليه غارة شعواء وذلك في قصة Great's Worthor Wit ولكن شكسبير لم يعير مثل هذه القصة أعتبارا كبيرا بل ولا ضئيلا من الاهتمام بل ظل سائرا فى طريقة العادي يكتب القصة ويتبعها بالثانية ويتلوها بالثالثة . وفى سنة ١٥٩٤ لما مثل أم الملكة ظهرت قوته الفنية الخفية .

ومنذ هذه السنة حتى سنة ١٦٠١ ظهرت معظم قصصه الكوميدية والتاريخية . ومن هذه القصص المشهورة ·

The Merchant of Venice, king John
A Midsummer Night' s Dream, Henry 1V
The Merry Wives of Windsor, Henry v
Much ado alout Nothing, As You like
It, Twelfth Night, Julius Coesar (1)

* * *

ومما يجدر ملاحظته أن وليم فى أيام سعادته لم ينس اسرته بل ولا والده . ويمكننا أن نقرر أن السنين الخمسة من أيامه الاخيرة كانت خالية من العسرة المالية التى كثيرا ما ضايقته زمنا كبيرا ، وكان المنتظر منه وقد بلغ هذه الشهرة الطائرة أن ينفض يده من معارف ريفه وان يهجر قريته، لكنه لم يفعل ذلك بل زار قويته سنة ١٥٩٦ حيث كان يملك ثروة لا بأس بها ومن ذلك اليوم حتى ترك لندن نهائيا لم ينقطع عن زيارة قريته مرة كل سنة على الاقل وقد بلغت ثروته سنة ١٥٩٩ حدا لا بأس به وقد أظهر فى ادارة هذه الثروة حذقا كبيرا ما كان ينتظر من رجل كاتب أديب طائر الصيت ، لان الرجال المشهورين في العالم عودونا ألا يعنوا بادارة أموالهم بل أن يبذروا فيها وكان ذلك الحذق نفسه والمهارة عينها هي التى هيأت له أسباب الكتابة

(١) رأيت ألا اترجم اسماء هذه القصص بالعربية لانها معروفة باسمائها هذه اكثر من العربية

عن استكلنده فى قطعة تمثيلية خالدة تبحث عن السحر والجان وقد ذهب الناس انما كتبت هذه القصه موالاة ومناصرة للملك جيمس وقد وفق سنة ١٥٩٧ بشراء قصر كبير فى ستراتفورد واستمر فى شراء الاراضى المجاورة له شيئا فشيئا وفى سنة ١٥٩٩ اشترى اسهما فى مسرح جلوب الذى بنى على نظام جديد بعناية الاخوان برباج وبعد أن تسنم جيمس الاول عرش الملك الانجليزى اختير ليكون كبير ممثلى جلالته وبذلك دخل فى عضر السعادة المادية الكبيرة فاصبح ذا ثروة طائلة

ومن الغريب أن وليم في هذا العهد يظهر أنه فقد الرجاء من صلاح العالم الانسانى فهو يعتقد أن الحياة الجديدة لا تفضل حياته القديمة التى لا يزال سائرا بمقتضاها وقد عجز الكثيرون ان يفوا هذه الحياة حقها من الوصف الى أن جاء وليم فصورها لنا اجمل تصوير شعرنا حين قراءته بلذة كبيرة فاشرقت على هذه الحياه بلاغته الساحرة وبذا استطاع أن يخلد قصصه ولكن بعد سنة ١٦٠١ ابتدأ يظهر الانقباض في قصصه وأخذ تطيره بالشر يظهر واضحا جليا وكانت مكبث انما هي عراك ونزاع وتطاحن بين رجال كل يهدم الاخر وتتجلى مسحات الحزن واليأس في كل سطور هذه الرواية فهو قد أخذ

الان لا يعتنى بالحياة كان يحفل بها قبلا ولذا يكون من المغالطه والمخالف للواقع أن ننسب لوليم كل الاراء والافكار التى كان يصبغ بها شخصيات رواياته ونعتقد أن تلك انما هى أراؤه وأفكاره الشخصية وأعتقد أنى اذا قررت الان أن شيئا من شعور وليم ظهر فى قصة مكبث فيأسه من الحياة ظاهرا جليا فيها

وفى عصر يأسه من الحياة كتب معظم مآسيه الخالدة وبذا بلغ أوج الفن فوجد منفذا من هذه المآسى لانه يطرق أدق وأخطر الموضوعات الاجتماعيه وقد أعقب ما كبث بالملك ليبر وسبقها بعطيل والمآسى الاخري مثل قيصر وكليو بتره وكوربولتس فبعد السابق ولعله أنتهى من وضعها سنة ١٦٠٩ ويجب أن نغتبط لانه وان كان شكسبير قد كتب لنا فى أيام يأسه التى بلغت ثمان سنين تلك القصص التى استعرض لنا فيها مناظر الحياة بتلك المناظر التي لم تكن خاتمة رواياته بل أنه اعقبها بقصة Cymiebne عام ١٦١٠ وقصة The Winters' tale عام ١٦١١ وقصة The Tempest عام ١٦١١ فاذا كانت القصص الاخيرة لم تشرق فيها أشعة السرور تعبر لنا جليا أن تلك السحابة قد انقشعت وأن ايمانه بالحياة قد عاود حالته الاولى وأن ايمانه بالفضيلة قد

تجدد وذلك فى اسلوب هادىء رصين وهو الآن ينظر للحياة من وجوهها الشتى المتنوعة بأكملها . وبهذه القطع الثلاثة استودع الكتابة والفن

وقد رجع الى استراتفورد عام ١٦١١ حيث قضى خمس سنين هادئا ساكنا يحصد ثمرة ماجناه من كده وتعبه فعاش عيشة الرجل المترفة وكان فى هذه الفترة يزور لندن بين الحين والحين مدينة مجده وعظمته وقد تزوجت سوسان كبري بناته عام ١٦٠٧ وعاد وقتا بعد ذلك سمح له أن يحضر زواج جوديث ابنته عام ١٦١٦

وقد لبى نداء ربه في الثالث والعشرين من شهر ابريل من سنة ١٦١٦ حيث اهتدى لحل السر الاخير من اسرار الحياة — سر الموت

محمد رأفت جمالى

تمت

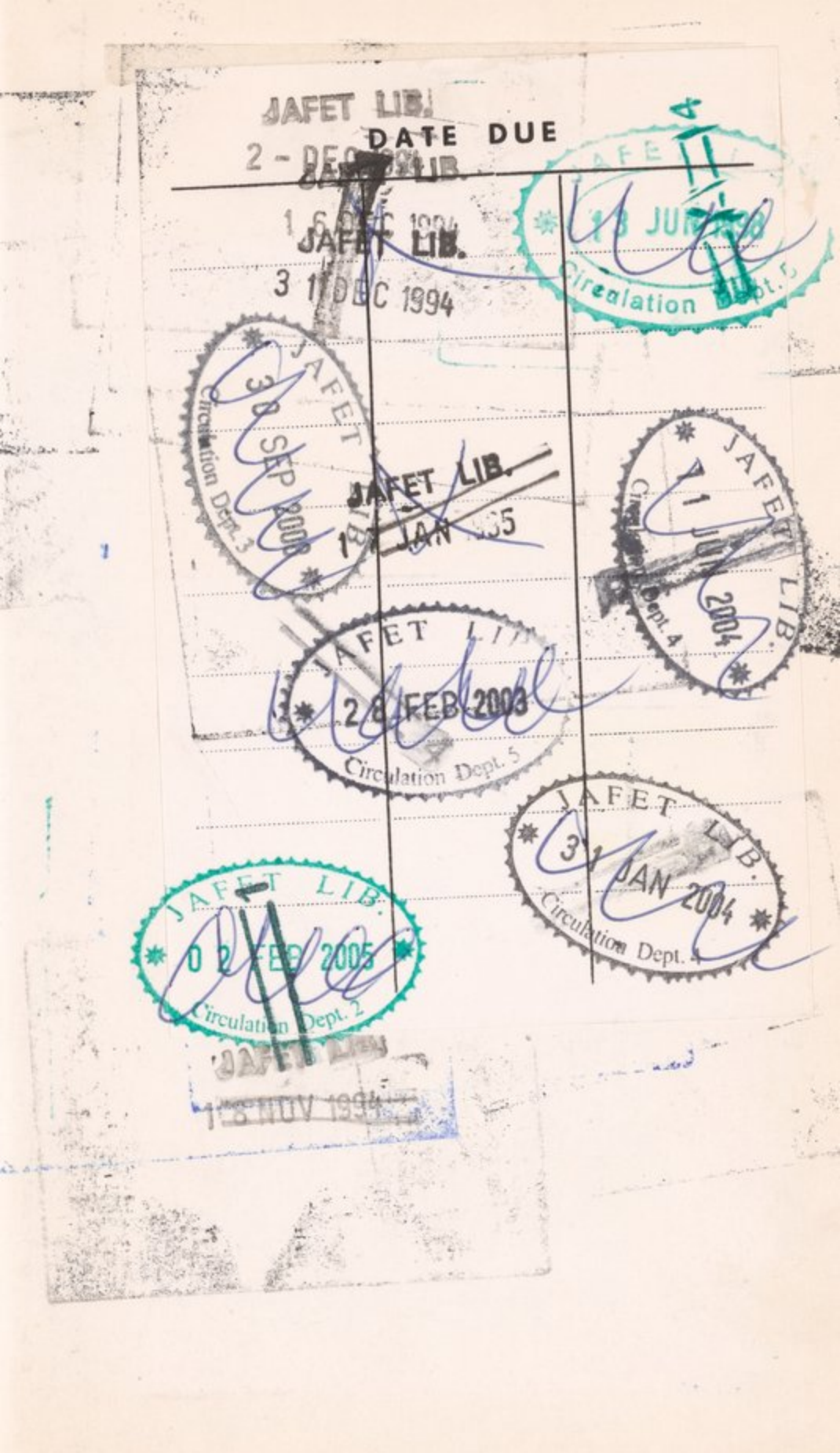
JAFET LIB.
DATE DUE
JAFET LIB.
3 1 DEC 1994
JAFET LIB.
JAFET LIB.
JAFET LIB.
JAFET LIB.
JAFET LIB.
JAFET LIB.
Circulation Dept.

A. U. B. LIBRARY

زكي ،عبد الرحمن
يوليوس قيصر، المأساة التاريخية الكب
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01044112

822.33
S527juA